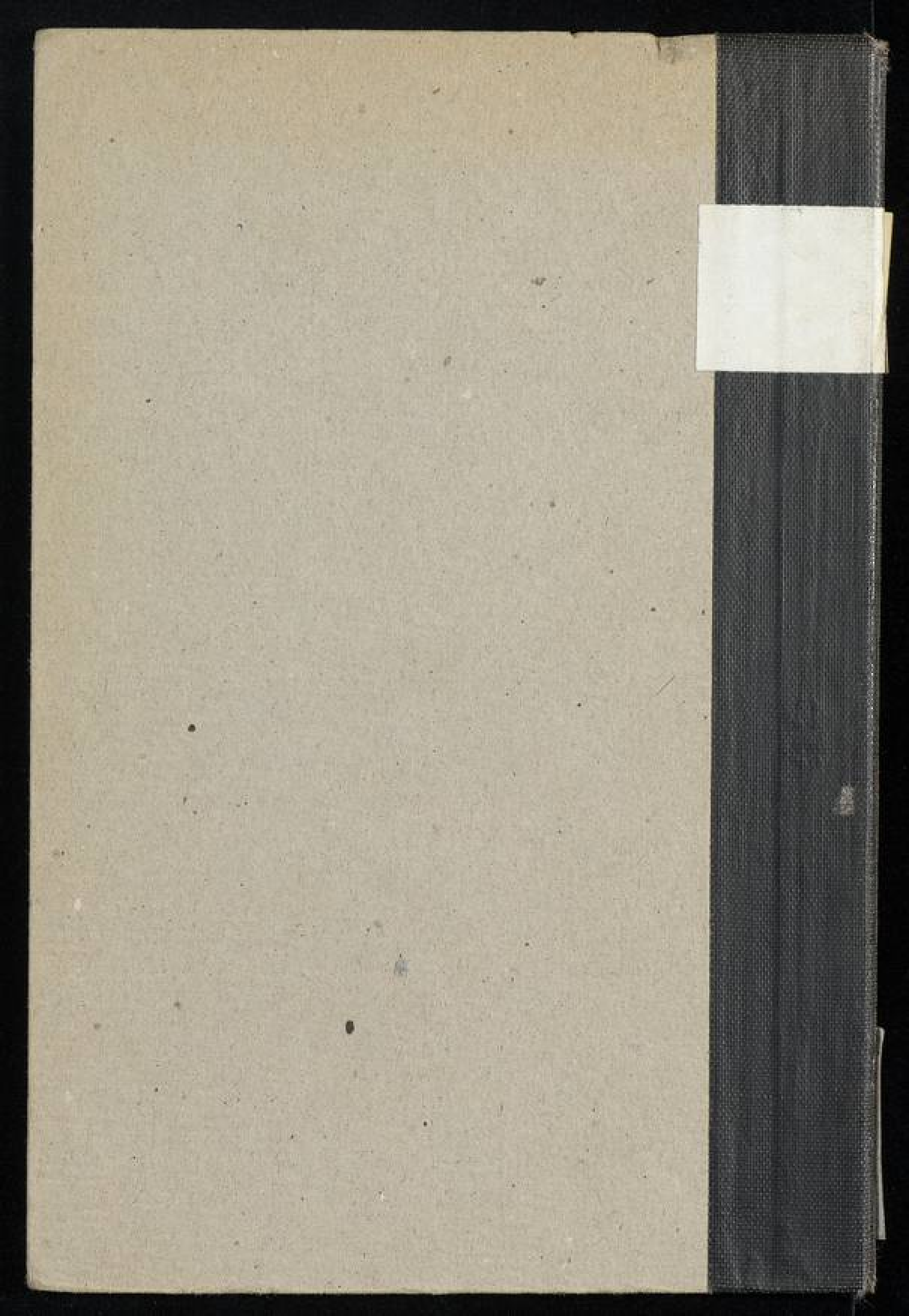
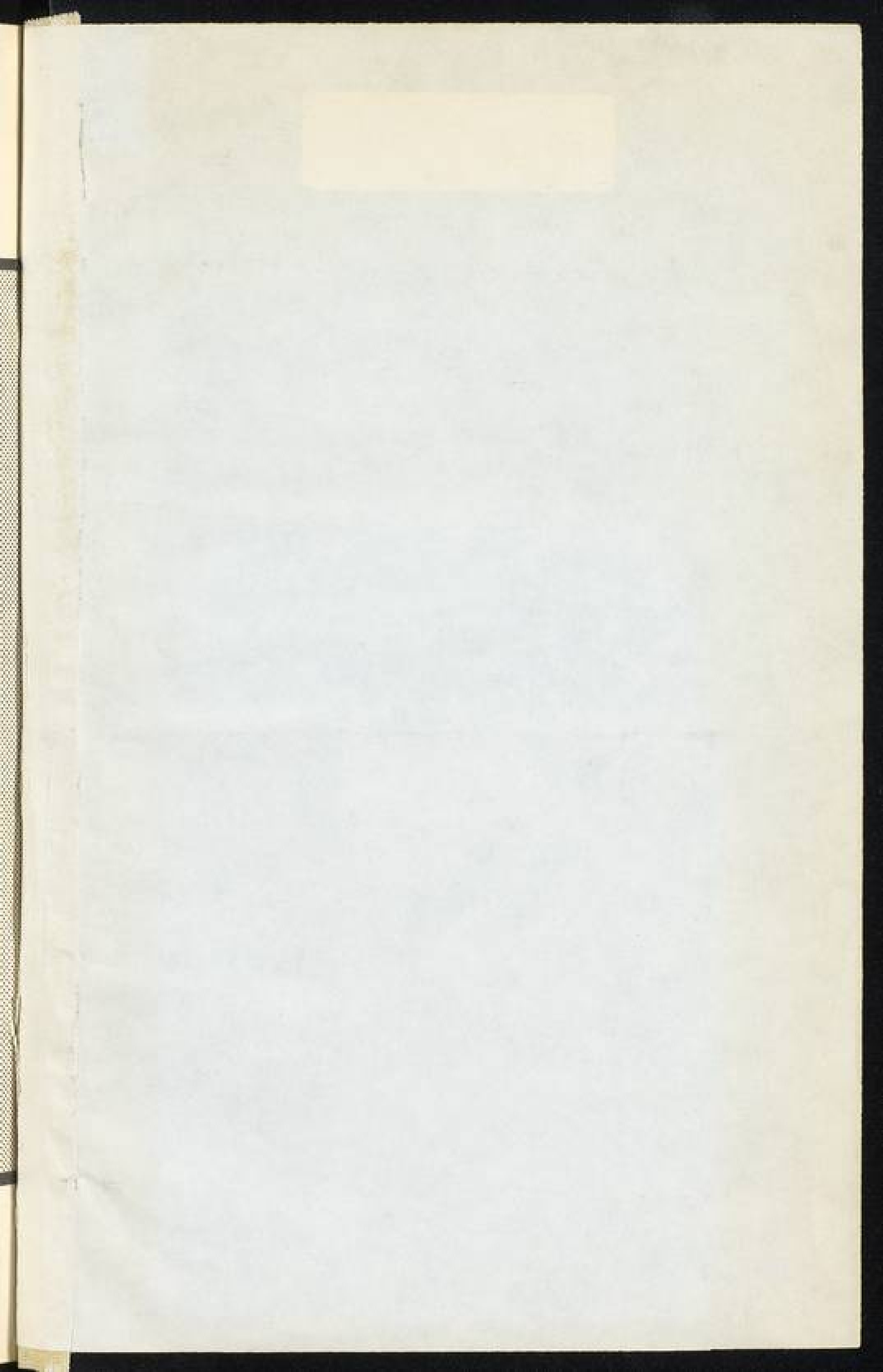
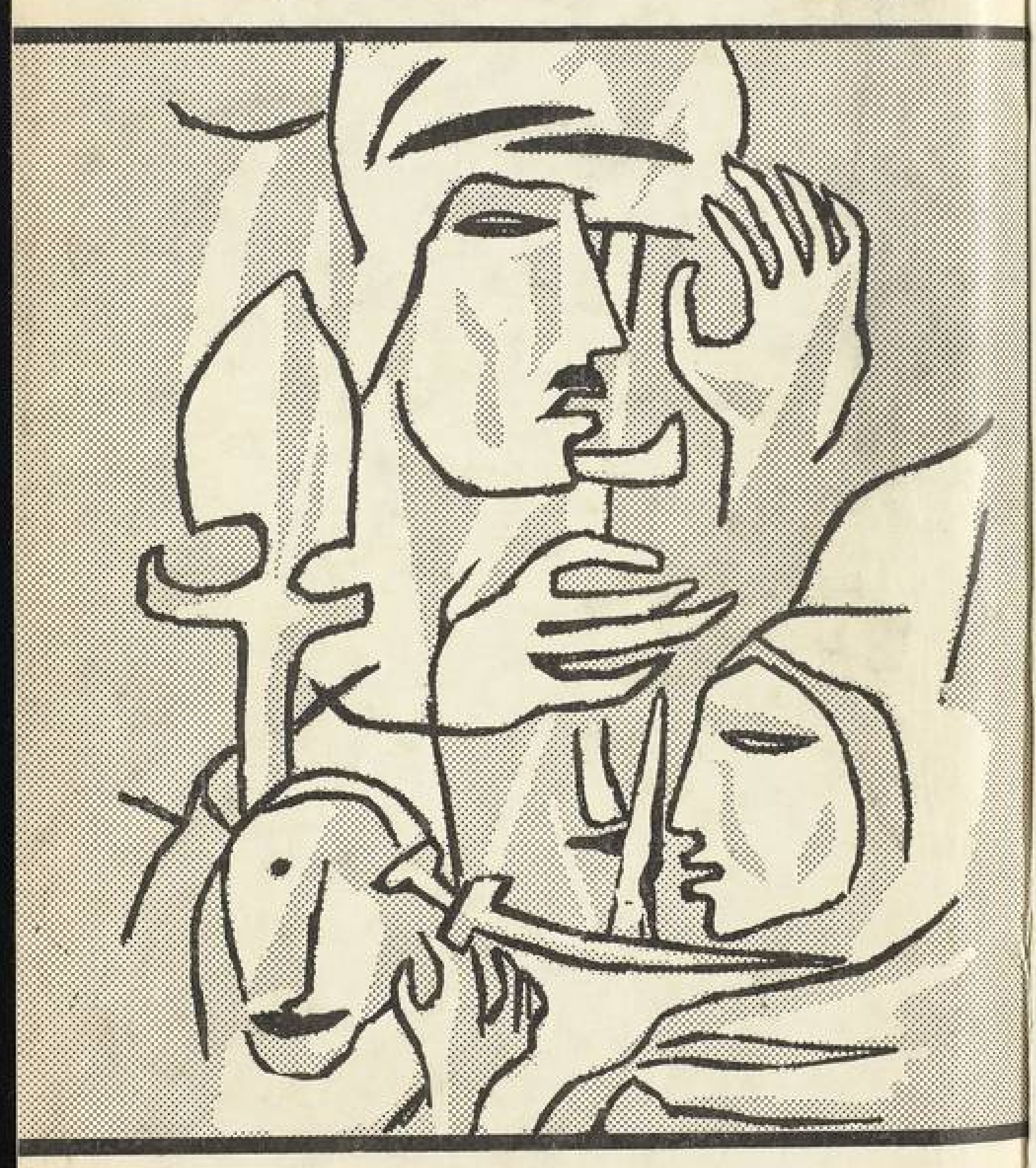


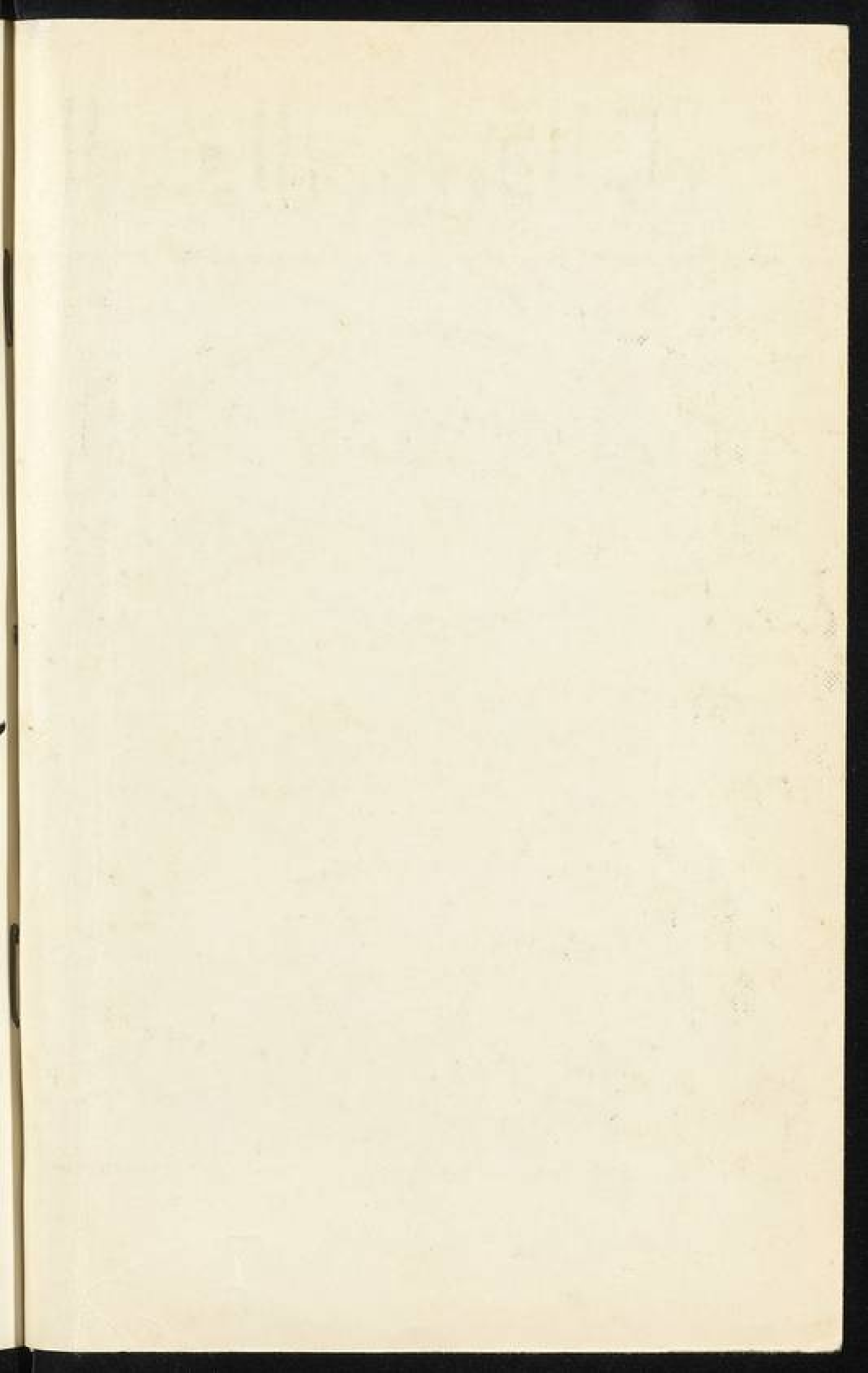




اليد والارض والماء



ذو النون ايوب



Ayyūb, Dhū al-Nūn

al-Yad, al-arḍ, al-mā'

اليد والارض والماء

ذو النون ايوب

الطبعة الثانية

مطبعة شفيق - بغداد
١٩٧٠

1948

آثار المؤلـف

المجموعة الاولى	: رسل الثقافة	ثلاث طبعات
المجموعة الثانية	: الضحايا	طبعتان
المجموعة الثالثة	: صديقي	طبعتان
المجموعة الرابعة	: وحي الفن	
المجموعة الخامسة	: الكادحون	
المجموعة السادسة	: برج بابل	
المجموعة السابعة	: العقل في محنته	
المجموعة الثامنة	: حميات	
المجموعة التاسعة	: الكارثة الشاملة	
المجموعة العاشرة	: عظمة فارغة	
المجموعة الحادية عشرة	: قلوب ظماى	
المجموعة الثانية عشرة	: صور شتى	
المجموعة الثالثة عشرة	: قصص من فينا	
الرسائل المنسية	: قصة	
اليد والارض والماء	: قصة (الطبعة الاولى) ترجمت الى الروسية بعنوان (قضية السيد ماجد رحيم) والى الرومانية والهنغارية بالعنوان الاصلي .	
الآباء والبنون	: ترجنيف – ترجمة	
أسد الفلاندرز	: عن الالمانية – ترجمة	
مختارات ذو النون أيوب	: مقالات في الادب والسياسة والاجتماع	
الدكتور ابراهيم		طبعتان
مسالمون ومعتدون		**تحت الطبـع**

تقديم

ذو النون أيوب • للدكتور أكرم فاضل

حسبك أن تنطق بهذا الاسم أمام رهط من الناس ، ليكون التعقيب على نطقك أن حامل الاسم هو مؤلف « رسل الثقافة » و «برج بابل » و «الكادحون» و «الدكتور ابراهيم» و •••• «اليد والارض والماء»•••

وقد ينبري احد هؤلاء الشهود ليخبرك انه استاذ قدير في الرياضيات شغفته القصة ، كما شغف الشعر لب سوللي پرودوم الطبيب ، وكما أخذ الشعر أيضا بمجامع قلب پول ڤاليري •

وقصصه تكاد تكون مقروءة من قبل جمهرة القراء كافة ، ولابد أن تسمع من فلان أنه تأثر بالمجموعة الفلانية ، ومن علان أن القصة العلانية بذاتها قد أخذت بشغافه •

وتستخلص مدى ربع قرن أو نيف أن هذا الرجل كان موجه جيل وقائد رعيل •

وقد رأيت من المعجبين به من ارتدوا عنه ، ولكن سرعان مايستعيد سيطرته على اعجابهم حين يشرعون بقراءة أثر جديد له ، ولو كان رسالة شخصية •

وبهذه المناسبة أذكر جيدا أن صاحبنا عزى الاستاذ رفعت الجادرجي برسالة غب وفاة والده كامل الجادرجي • ونشرت الرسالة ، فاذا لها دوي بعيد ، واذا بها حديث الساعة ••

ولعلك تسأل عن سر تعلق الناس بهذا القصاص • فاخبرك بايجاز أنه سجل تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي في قصصه ، باسلوب يطمع في محاكاته كل احد دون أن يناله أحد • وقد خبر الكاتب الحياة خبرا عميقا قل أن يتاح لسواه ، أو قل أن ينفذ سواه الى أعماق هذه الحياة ، فجرب بنفسه الترشيح للنيابة ، ورأى رأي العين كيف تحاك الدسائس للمرشح على الصعيدين الحكومي

والشخصي ، ولمس كيف يامر الوزير بتوقيف النائب المقبل ليرهب ناخبيه ، فينجح في هذا الارهاب ويفشل المرشح .

وأبصر كذلك كيف يتهم بالتشرد وهو أشهر من نار على علم .

ولاحظ قبل ذلك كيف تساس وزارة المعارف آنئاك .

ورأى بعد ذلك كيف يحبس ناخب في زنزانة اعدام حتى يجن فيموت .

وشرد قربان آرائه .

ونقل الى أقصى الشمال نكاية به .

ولم يجد مندوحة من الاستقالة ، فاستقال وعاش عيشة الرهبان .

وعاني ما عاناه الشعب العراقي من مآس وويلات كان لابد لها أن تتوج بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

وليس المهم أن يكون قد ارتطم بخضم كل هذه الرزايا ، ولكن المهم أن المرتطم كان يحسن الانفعال بالحوادث ويتقن التفاعل معها ويبرع في تصويرها ، فكان هذا الانتاج الزاخر الذي يمثل العراق من كل هذه الجوانب .

أما القصة التي بين يدي القارىء ، فهي تجربة عاشها المؤلف واكتوى بشواظها ، وخرج منها لابخسران مادي فحسب ، بل بانهيار المشروع بأكمله ، ذلك الانهيار الذي جرف معه الصديق والقريب في تياره العاتي .

وأفاق صاحبنا مشدوها من هول الكارثة ، فكانت صيحته هذه الملحمة التي عاشها عقلا وأعصابا .

ولعل معترضا يعترض بأن القصة سبق لها أن نشرت . وجوابي أنها نشرت عام ١٩٤٨ ونحن في عام ١٩٧٠ . وقد نشأت عقول جديدة لانستطيع الحكم على استغنائها عن قراءة هذه الأثر العراقي الصميم . وان الطبعة نافدة منذ عهد بعيد . وحين رغب المؤلف في طبع القصة وخولني البحث عنها لم أجد نسخة واحدة للاستعانة بها ، فبات من المحتم علي أن أناشد القراء على صفحات احدى الصحف ، فلم يلب الطلب سوى مدبج الرسالة التي أدرجها نصا كخاتمة لكلمتي هذه :

الدكتور اكرم فاضل المحترم ،

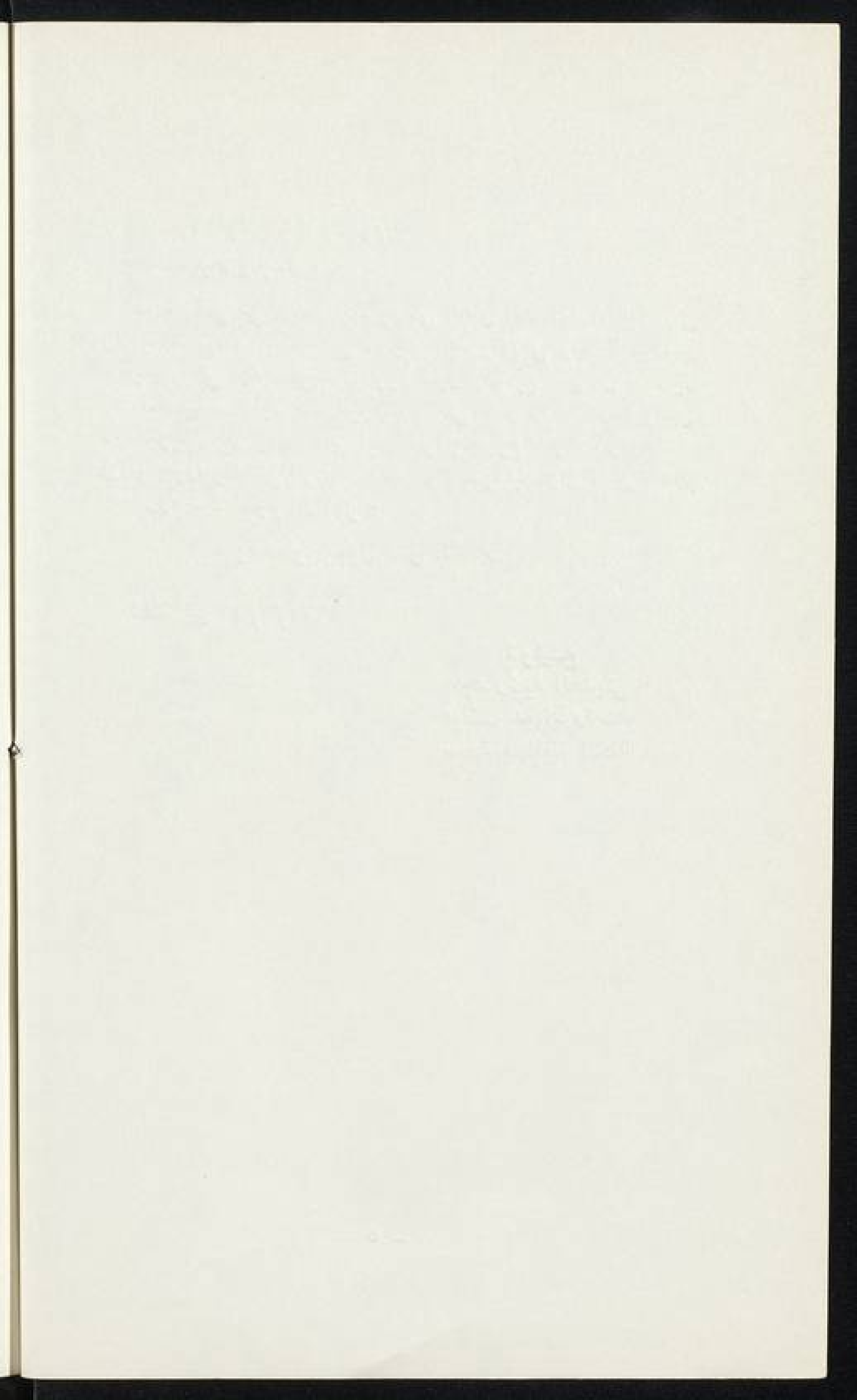
تحية اكبار واجلال ،

بعد اطلاعي على النداء المنشور في احدى الصحف المحلية ، لي الشرف باهداء هذه النسخة من رواية «اليد والارض والماء» ليتسنى اعادة طبعها ، في عهد الحرية الفكرية لثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ التقدمية ، لتكون هذه الرواية (التي كانت واقعا محضا وليس خيالا منسوجا) بين ايدي الذين لم يخلقوا بعد يوم نشرها ، والى أولئك الذين لم يقووا بعد على القراءة والتفهم والاستيعاب ،والى الذين فاتتهم مطالعتها يوم ذاك لسبب أو آخر .

وتفضلوا بقبول فائق التقدير

الحلة في ٢١/٣/١٩٧٠

التوقيع
ماجد رشيد الحديثي
موظف بديوان رئاسة
صحة محافظة الحلة



هذه رواية بناها الخيال من لبنات الواقع ومـــلاطه ، وزخرفها الفن بالوان المحيط واصباغه ،فهي خيال محض ان اردت واقعا محضا ، وهي حقائق صادقة ان اردت حقائق عامة غير مربوطة بقيود وحدود •
وكل ما أستطيع ان احداك به ان شككت فى صـــــحة ما ورد فى هذه الرواية مما يتعلق باليد المغلولة والارض المحتكرة ، والمياه المضاعة ،ان اقول : عليك باضبارات الدولة واوراقها فســتجد اذا ماســمحت لك الدولة بالكشف عن عوراتها ان الحقيقة اغرب من الخيال وســـتجد ان فى الحقيقة مرارة لاذعة وفى الخيال حلاوة مســكرة • وهذا مـا يجعلنى أهرب دائما من الحقيقة الى الخيال •

- ١ -

توهجت الشمس محمرة عند الافق فصبغت مياه النهر تحتها بلون ذهبي براق يخطف الابصار ، واخذت تغوص وكأنها تغطس في مياه النهر الهادئة لتبترد • وانحدر من الجرف المشرف على النهر اعرابي حافي القدمين مغبر الوجه ، فخلع ثوبه الوحيد ، وبدا بقامته المتوسطة الضامرة عاريا كما ولدته أمه • وبعد أن تمهل مليا أمام أشعة الشمس الفاترة قفز الى النهر واخذ يسبح بمهارة تمساح مستمتعا ببرودة الماء وعبر عن سروره بغناء أطلقه من حنجرته القوية فمزق سكون المساء واستمر ذلك الغناء لا يزاحمه صوت آخر في تعكير السكون بضع دقائق ، حتى لعلع صوت طلق ناري فجأة في الفضاء ، فأجفل السابح وانقطعت انغامه الريفية كما ينقطع خيط متوتر بضربة سكين حاد وقفز الى ضفة النهر فدخل في ثوبه بسرعة البرق واسرع متوثبا معتليا الجرف •

وقف سليم على الجرف ومد بصره الحاد نحو مصدر الاطلاق وارهف اذنيه ، فرأى حشدا كبيرا من الفلاحين نساءا ورجالا ، رأى المساحي والخناجر والبنادق تتهاوى على الرؤوس والابدان وسمع الاهازيج المحرضة فغلى الدم في عروقه واسرع نحو المعركة • وجالت

عيناه وهو يركض باحثا عن سلاح ،فرأى معولا فوق الارض المحروثة فتناوله وبعد لحظات أصبح وسط المعركة • ومازال يجول ويصول حتى سالت الدماء فوق وجوه كثيرة وانبثقت من رؤوس عارية حليقة ، ورأى اخته تضرب فلاحا بفأس فتصرعه ، وأبصر بزوجة ذلك الفلاح تهجم كالذئبة الضارية فتهوي بمسحاة فوق رأس اخته فتطرحها على الارض ولم يبصر بعدها شيئا ، فقد شعر بألم فى جنبه ، نغامت الدنيا فى عينيه وارتمى على الارض فاقد الوعى •

- ٢ -

استيقظ سليم من غيبوبته الطويلة ، فرأى نفسه ممدداً على فراش وثير فوق سرير من حديد في قاعة فسيحة مملوءة بسرر تماثل سريره، فوقها أناس يشابهونه في السحنة واللون ، بعضهم معصوبو الرؤوس ، وبعضهم صفر الوجوه . وسمع أنات من بعيد ، وغطيطا مزعجا الى جانبه وشعر باختلاج جاره ذي الغطيط ، ثم تحول الغطيط الى حشرجة ، ثم سكن النائم وهمد جسمه همودا غريبا مريبا فدارت في رأسه اسئلة عديدة شعر معها بالتعب الشديد عندما حاول اعمال فكره للاجابة عليها وأحس بجفاف في حلقه وبظمأ شديد ، فلم يتمالك ان صاح بأعلى صوته دون وعيه يطلب ماء ، وبعد هنيهة رأى شخصا يشبهه في السحنة أيضا، قدم الى فمه كأسا زجاجية مترعة بالماء ، فما شعر ببرودتها على شفتيه حتى امتصها برشفة واحدة ، ثم غاب عن الوعي مرة أخرى .

ولما استيقظ ثانية ، وجد ذهنه أكثر صفاء ووجد في نفسه قدرة على التفكير والتعليل ، وأدرك دون سؤال أنه في قاعة مستشفى ، فقد رأى امثاله مرارا في بغداد عند زيارته لكثير من اقربائه الذين دخلوا أمثال هذه القاعة في حوادث مماثلة للحادثة الاخيرة التي أدخلته فيه .

وتذكر جاره النائم ذا الغطيط والحشرجة فالتفت صوبه ، فرآه ممددا على نقالة يحمله اثنان يرتديان ما يرتديه ذلك الذي سقاه الماء

فنظر في وجهيهما متسائلا وادرك أحدهما مايريد فأجابه ممازحا : «لقد مات . وارجو أن يكون حظك أحسن من حظه » .

وابتسم لهما غير آسف على الراحل ولا خائف على نفسه وشعر بحركة متزايدة في القاعة وابصر بشاب نظيف البزة جميل الوجه انيق اللباس يرتدي فوق ملابسه معطفا أبيض وبجانبه فتاة جميلة ترتدي البياض أيضا ووراءهما آخر وآخر كانوا يقفون لدى كل سرير ، حتى اتى دوره . وشعر بيدين ترفعان لحافه وثوبه وشعر بلفافة تحل حول خصره ، ثم شعر بوخز ألم حاد ، فلم تبدر منه نامة .

وسمع الفتاة تسأل الشاب بصوت رقيق حنون « ما هذه الآثار الشائعة في جسمه ؟ » .

فيجيبها الشاب الوسيم « انها آثار حروق وأظنها آثار الكي * ان الفلاحين يداوون أغلب امراضهم بالكي . انظري الى رقبته ورأسه فهما مكويان أيضا » .

واضاف الشاب بعد أن سبر غور الجرح قائلا « الجرح خطير ولكنه لم يمس جهازا مهما . واعتقد ان المريض سيعيش » .

- ٣ -

اتكأ الدكتور حسام على الاريكة ، وارخى ساقيه المتعبتين الممتدتين فوق الطنفسة الرخيصة التى تغطى قاعة الاستراحة فى المستشفى ، والقى المصباح الكهربائى ، المظلل بغطاء اصفر ضوء شاحبا على وجهه الابيض الوسيم وعلى أهدابه الطويلة السوداء المطبقة .

وفتح الباب برفق ودخلت الدكتورة هيفاء تسترق الخطا ، وشاع فى محياها سرور ممتزج بالحنان عندما غمرت الاشعة المنبعثة من عينيها الواسعتين ذلك الجسم المتعب الرشيق . وتقدمت بخفة نحو الاريكة المريحة وانحنت فوق رأس الدكتور ذى الشعر الاسود المتموج ، ثم وضعت يدها الرقيقة فوق خده وربتته بلطف .

فتمتم الدكتور دون أن يفتح عينيه : « أهذا انت ايتها الساحرة المواسية ؟ » .

فاجابت : « خيل الىّ انك قد ذبت في هذا الضوء الباهت فأردت ان أتأكد من وجودك » .

واقتربت خطى ثقيلة من الباب ، فقالت هيفاء : « هى خطوات ماجد . انى اراهن على ذلك » .

ففتح الشاب عينيه الواسعتين السنجابيتين وتطلع فى وجه صاحبته

ساخرا وقال : « انت تعلمين انى قد دعودته الى هذه الزجاجة التى أمامك فمن تريدين أن تقنعى بذكائك المفرط ؟ » .

وفتح الباب وامتلأ بجسم رشيق طويل متين التركيب ، واطل وجه اسمر عليه ابتسامة لا تخفى امارات هدوء حزين كانه بعض قسماتـه ، وحيا بقوله : « سلام على الآسيين » .

فاجاب الدكتور معتدلا « اذا كنت تتكلف اللهجة المصرية فليس ثمة سوى آسية واحدة » .

فاعترضت الدكتورة : « أهى القاسية تلك التى تحنو عليك فتقابلها ساخراً من ذكائها ؟ » .

فقال ماجد « أترينه يستطيع ان يترك شقاوته ؟ لو فعل لانكرته بل وربما كنا كرهناه معا » .

فعاد الدكتور الى سخريته وأجاب « انى احاول أن اطبق مبـــدأ المساواة بين الرجل والمرأة بأوسع معانيه يا سيدى المحامى القدير » .

وكان المحامي القدير فى تلك اللحظـــة يقلب زجاجة الوسكى المربوعة القامة بين يديه ويتمتم : « أللهم أرسل الأوبئـة والطواعين ، لتمتلىء جيوب الدكاترة المتازين ، فيجودون على المحامين المفلسين بمثل هذا الشراب الثمين ، ليقتلوا في نفوسهم الهم الدفين ، انـك أرحــم الراحمين » .

وأعقب الثلاثة معاً وهم يضحكون : « آمين ثم امين يارب العالمين» .

والتفت المحامي وتساءل قائلا : « ولكن ، أين النقل الذى يليق بهذه الحوجلة ؟ » .

وفتح الدكتور فاه مستغربا وسأل الدكتورة : « ماذا دها صاحبنا الكئيب الحزين اليوم ؟ اتراه قد سكر بالايحاء حتى وصل الى درجة الهذيان ؟ » .

ونهضت الدكتورة قائلة « سآتيه بمقيء لعله يصحو » .

فهز المحامى رأسه آسفاً وقال : « ماذا تسميان هذه الزجاجة السمينة القصيرة يا من درستما الطب باللغة الانكليزية ؟ لقد استعمل أجدادنا العظام المترفون أنواعاً عديدة من زجاجات الشراب ، فاسم هذه (الحوجلة) أما النقل فهو ما تسميانه ب « المزة » .

فأومأ الدكتور لصاحبته ، وطلب منها أن ترسل بطلب النقل ، وأسرعت الدكتورة ، ونادت أحد الخدم وأسرت له شيئاً ، ثم عادت وهى تتبادل مع صاحبها نظرات خبيثة .

وبعد هنيهة دخل رجل شاحب فى دور النقاهة . وهو سليم الفلاح ، فسلم مرتبكاً . وأشارت له الدكتورة ، وهى تكتم ابتسامتها بجهد ، أن يجلس الى جانب ماجد ، قائلة للآخر : « أقدم لك النقل سليم الفلاح » . وقالت لسليم « آقدم لك ذا الحوجله ماجد بك المحامى القدير » .

فقال ماجد: «كنت أعلم أنكم تخللون الموتى ، وتفرمون الجيف ، أما انكم تقدمون المرضى طعاما للضيوف فأمر ما كنت اتصوره » .

فقال الدكتور : « ان من يتقن اللغة والادب مثلك ، ويشـــرب الخمرة الفاخرة ، يحتاج الى نقل عقلى لا بطنى ، وتلك وصفة طبيب خبير بدائك » .

وكان سليم ينقل نظراته فى أوجه الحاضرين وهو حائر يبـدو عليه جلياً ما يدل على أنه لا يفهم شيئاً من حديثهم ، فكأنهم يتكلمون بلغة لايفهمها .

وتقدم ماجد منه وباحدى يديه كأس فارغة ، وبالاخرى زجاجة الوسكى ، وقال : « أتشربها صرفا أم ممزوجة بالماء ؟ » .

فاجاب الفلاح مبتسما متباهياً : « أعلم أنها مسكر ، وانى لم اذقه فيما مضى من عمرى ، وسوف لا أشرب منه شيئاً الآن ، فاشربوا هنيئاً وانا فى خدمتكم » .

وسكت وقد شاع السرور فى وجهه ، وبدأ خجله يتلاشى تدريجياً حتى لفت نظر ماجد فقال مشيراً اليه : «هاكم من يسكر بالايحاء وأرجو أن لايثمل » .

- ٤ -

شرع سليم يجيب على أسئلة ماجد العديدة بسرور ، فقد رأى في اهتمام هؤلاء الافندية بتمريضه والعناية به ، واستطلاع أخباره ما جعله يشعر بشيء من الاهمية لنفسه ، فقال بلهجته الريفية وأسلوبه الرائـق البسيط : «ليست هذه هي المعركة الاولى بيننا نحن أفراد العائلة الواحدة ، وسوف لاتكون الاخيرة . لقد حط جدنا الاول رحاله مع ثلة من عشيرة الجبور في هذه الارض منذ ما ينوف عن المائتي سنة . وتزوج كثيراً ، وانجب عددا من الاولاد . واعقب الاولاد ، التابعون لسنة ابيهـم في الزواج ، احفاداً والاحفاد أولاداً حتى تجاوزوا الالف عداً . وشرع جدنا بزراعة شواطيء النهر بالكرود . وما كانت الارض يوم ذاك ذات قيمة ، فتركت لهم فاستوطنوها وعمروها ، وأخذوا يذودون عنهـا بدمائهم حتى كان الاحتلال الانكليزي ، فحاول بعض ذوي الثراء والنفوذ من بغداد ان يطردونا منها فلم يفلحوا ، فقد رأى المستعمر الجديد ان الاستقرار يسود هذه المنطقة القريبة من بغداد حتماً اذا ما أخلـد الفلاحون الى السكينة ، ولا شيء يجبرهم على ذلك أكثر من الاشتغال بالزراعة ، وهكذا منحت الحكومة المحتلة اسرتنا الفي مشارة من هذه الارض ، فدأبنا على استغلالها ، وعندما شاعت محركات النفط ، زادت تكاليف زراعة الارض ، فاحتجنا الى المال ، وبدأنا نستدينه من المرابين

والباعين الذين يرهنون الحاصل قبل زرعه ، فالمرابي يتقاضى ما لايقل عن ثلاثة بالمائة في الشهر ، وأما البياع فيستقطع ربع ثمن الحاصل تقريباً عند بيعه بأساليب شتى . وهكذا صرنا نزداد فقراً يوماً بعد يوم. وانحلت روابطنا القبلية والعائلية ، وأصبح قسم قليل منا رقيباً علينا لمصلحة الملاك ، وقسم يحاول أن يخفف من ضائقته بسرقة المحصول الذي يزرعه ولا يملكه ، أو بمحاولة زرع أرض جاره . وسبب الحادثة التي جرحت فيها أن سميراً أخي حاول ان يزرع جزءاً من حصة ابن عمي مرهون ، وكان هذا الاخير قد ترك أرضه لتقويتها بعد أن أتعبها توالي الزرع » .

فقاطعته هيفاء بقولها : « ولكن ألا يستطيع مالك الارض أن يترك الزراع يزرع ثم يغتصب الزرع مادام في أرضه ؟ » .

فأجاب ماجد ساخراً : « الفلاح أعلم بالقانون من الدكتورة . انك تجهلين ايتها النطاسية ان الزرع للزراع وان كان اغتصاباً . وهذه حكمة القانون » .

وسر سليم بالاطراء فتحفز في جلسته وقال : «ولمثل هذه الحوادث تسيل دماء كثيرة كل يوم ، وقد علمتم دون شك أن عدد القتلى في تلك المعركة كان ثلاثة ، والجرحى بجروح خطيرة عشرة ، أما المجروحون بجروح خفيفة فعددهم غير معلوم اذ لم يدخلوا المستشفى » .

فسأل الدكتور « ولكن أليس لكم رئيس عشيرة يوقف أمثال هذا النزاع ؟ » .

فاجاب الفلاح : « لايخضع الفلاحون القريبون من بغداد لنظـم العشائر . فبعضهم قد أصبح من أرباب الارض ، وتحـول البعض الى فلاحين تحت امرته . وعدد أصحاب الاراضى من العشائر قليل جـداً اذا قيس ببقية أصحاب الاراضى من الافندية والبيكات الذين استملكوا الارض نتيجة لتراكم الديون على الفلاحين بفوائضها الفاحشة ، وأصبحنا نحن أصحاب الاراضى الاصليين فلاحين عند اربابها المدنيين » .

ونهض ماجد وقد دب النشاط فى جسمه ، وأخذ يذرع الغرفة بساقيه الطويلتين وهو يهمهم : ها نحن هؤلاء نجهل أهم ما يتعلـــق بشؤون قوتنا . نجهل اشياء على بعد اشبار من أبصارنا » .

فابتسم الدكتور وقال لرفيقته :« أهو الشـــراب فى الحوجلة أم النقل فى الحوصلة قد فعل به ما فعل ؟ » .

فأجابت الدكتورة : « لقد انتابته حمى جديدة من حمى الوطنية» .

ورأى سليم أن الجلسة على وشك الانتهاء ، فقال مقترحاً : « كم يسعدنى لو قبلتم دعوتى مساء يوم تختارونه ، فتقضون وقتـــاً طيباً فى الريف ، حيث أرد لكم بعض ما اسديتم لى من معروف ! » .

فتبادل الثلاثة النظرات ، وقال ماجد : « اقتراح طيب ، ودعــوة كريمة ، ولولا بعد الشقة لقبلناها شاكرين » .

فاجاب سليم « انها مسافة نصف ساعة بالسيارة » .

فقالت الدكتورة : « اذا كانت قريبة لهذا الحد ، فانى أول مـن يقبل الدعوة » .

فقال الدكتور : « سيحسبك القوم هناك راقصة » •

فاعترض سليم مدافعا : « لسنا بهذه الدرجة من الهمجية يادكتور• انا من سكنة ضواحي بغداد ، وبعضنا محام أو طبيب ، وما اكثر ماتسمع البيك الجبوري والاستاذ الجبوري والافندي الجبوري » •

- ٥ -

انعطفت السيارة بعد أن عبرت جسر ديالى ، تقطعت بضعة كيلومترات فى طريق جانبية غير معبدة ، لا تمتاز عما يجاورها من الاراضى الا بخلوها من حفر الخضراوات ، وبخلوها من أثمار البطيخ الاحمر والاصفر ، المنتشرة بين شجيراتها فوق الارض كالحصباء المغبرة .

قالت هيفاء : « ألا ما اجمل هذا (الركى) وما أكثره ؟ أتعلمان أننى لم أبصره قبلاً في منبته ؟ » .

فقال الدكتور ساخراً : « قد كانت تحسبه ينمو معلقاً فى الفضاء كالبرتقال » .

وأوقف سليم السيارة ، ونادى بصوت جهورى فلاحاً كان يفحص تلك الكرات الخضراء المغبرة . فاقترب الاخير من السيارة ، وسلم على سليم بحرارة ، مهنئاً اياه على السلامة ، ثم نظر الى الثلاثة المالئين مقاعد السيارة الخلفية ، بحياء وحذر ، وطلب من السائق أن ينتظر ، ثم أسرع الى تلك الكرات ، وصار يفحصها مربتاً ظهورها برفق ، قاطفاً ما يروق له منها بخنجره ، ونزل سليم يعاونه ، وفتح السائق أبواب السيارة وأسرع يعاون الفلاحين على نقل تلك الكرات وحشرها بين

الاقدام ، حتى تكدست وزاحمت أقدام الضيوف ، ثم ودع سليم صديقه الفلاح ، واعتلى السائق مكانه .

فقال له ماجد : « اننا لم ندفع ثمنها ، ولم أرك تدفع شيئاً فهل بينكما حساب جار ؟ » .

فجلجلت ضحكة سليم وأجاب : « لابيع ولا شراء هنا . كل شيء مشاع » .

فاعتدل الدكتور وسأل المحامي : « أيعني الشيوعية الهدامة ؟ » .

فأجاب ماجد باسماً : « جهلك بالسياسة ياسيدي الدكتور كجهلك باللغة العربية » . ثم وجه الخطاب الى سليم : « ان ثمن (ركية) واحدة يربو على المائة فلس في بغداد ، فكيف تفسر لذهني القاصر : ان هذه الكرة الخضراء بانتقالها في سيارة مسافة ثلاثين كيلومتراً يرتفع ثمنها من الصفر الى المائة » .

فاعتدل سليم وقال شارحاً : « لم أقصد طبعاً أن كل انسان يستطيع ان يأخذ ما يريد من هذه المزارع مجاناً . ولكن هذا الثمن الذي تتحدث عنه يتكون من ثمن النقل والبياعة والضرائب ، وما تبقى بعد ذلك يقسم مناصفة بين الفلاح وصاحب الارض ، فلا يكون ثمن الركية الواحدة بالنسبة الى الفلاح أكثر من عشرة فلوس ، وهذه فرصة الفلاح لاظهار كرمه وأريحيته ، فهو يأكل ويطعم ، وكل ذلك ربح له اذ أن اغلب ما يجود به من مال غيره » .

ومضت السيارة تئط وتترنح فتميل الى اليمين واليسار ، وتعبر السواقى قفزاً ، حتى اعتلت منحدرا ، ثم استوت فوق طريق ترابى غير معبد ، يعلو عن جرف النهر بضعة اقدام .

وقال سليم : « لقد وصلنا . ان السيارة تسير فوق سداد النهر الآن » .

وتلفت ماجد يمنة ويسرة ، ثم اعتدل وأشار باصبعه الى سليم والى النهر والارض وقال : « اليد والارض والماء ، الاقانيم الثلاثة ومصدر حياة هذه البلاد على الاطلاق » .

وقطعت السيارة طريقاً بجانب سور بستان ، ثم انبسطت الارض أمامهم . واقتربوا من كوخ بجانبه أنبوب يرمى الفضاء بنفثات من دخان أدكن ، وسمع هدير المحرك بداخل الكوخ . ووقفت السيارة أمام حشد من الاعراب يتقدمهم شيخ كليل البصر غير أنه معتدل القامة قاسى الملامح ، وآخر قصير جامد الوجه ، رقيق القسمات .

استقبل الفلاحون أصحابنا الثلاثة بما اشتهر عن الاعراب من رعاية تقليدية للضيف ، فهؤلاء الفلاحون لا زالوا يمتون الى اصولهم البدوية بصلات وثيقة ، وكان الرجلان المتقدمان يتميزان عن الباقين باللباس ، وبما كان يبدو على الباقين من احترام لهما عند الكلام .

ووقف ماجد حذاء الكوخ ذى الهدير ، وتطلع فى داخله . وقال الشيخ : « تفضل يا افندى فتفرج على ماكنتنا » .

ودخل الثلاثة ذلك الكوخ العديم النوافذ . ولما اعتادت اعينهم

الرؤية فى الظلام ، رأوا الى جانب العجلة الطائرة ، رجلا حديدى اللون والملامح يكاد أن يكون جزءاً من تلك الآلات الدائرة ، وقدمه الشيخ الى الزوار •

فقال ماجد : « هو من بغداد طبعاً » •

فاجاب الشيخ : « لا بل من أبناء العشيرة • لقد اتقن فن ادارة المكائن واغلب الذين يعملون فى المكائن الزراعية هم من أبناء العشائر ، أو من الفلاحين • ومنهم من وصل بهم اتقانهم لفنهم الى درجة عظيمة ، حتى استخدموا في معامل المدن » •

- ٦ -

كان المساء من تلك الاماسـي الصيفية النادرة ، فلا حـرارة مرهقة ، ولا رطوبة خانقة ، وكان النسيم يهب بين الفينة والفينةفيحرك أغصان أدواح التوت فيمتزج حفيفها بخرير الماء في السواقي .

وتمدد الدكتور فوق بساط ، مسندا ظهره ورقبتـه الى المخاديد الكثيرة المحشورة وراءه . أما المحامي فقد طوى ساقيه بسهولة تحته كما يفعل الاعراب عند الجلوس ، وجلست هيفاء القرفصاء وقد ساعدها على ذلك بنطلونها الواسع الذي كانت ترتديه . وكانت الابسطة وفوقـها الاحشية والمخاديد تكون شبه حلقة . وبدأ الشيخ واسمه حسين ويلقبه القوم بأبي مطر ، يطري ضيوفه ويشكرهم على اهتمامهم بابن أخيـه سليم ، ويبالغ في الشكر حتى اربك الضيوف .

وانبرى ماجد يجيب : « انكم الحجر الاساس في بنائنا الاقتصادي فما دمتم تعملون كل عمركم لتغذيتنا فمن الواجب علينا أن نسدد لكـم بعض هذا الدين . اني احب ريفكم ، وكم اتمنـى لو أكون مـزارعا مثلكم » .

وبدا الاهتمام على وجه ذي القامة القصيرة واسمه (زبالـة) ويلقبـه القوم بأبي حسن فتحفز وسأل ماجدا : «اذا كنت حقا تعني ما تقول فما اسهل تحقيق امنيتك » .

فاستدركت هيفاء مبتسمة : « ان هذا البيك الذى يحب الزراعة لا يملك ما يكفى لشراء مقاطعة تحقق حلمه » •

فاجاب زبالة كمن يخشى ان تفلت منه فرصة : « ولكن لا حاجة الى شراء الارض فهنا بالقرب منا ارض أميرية واسعة بكر لم تستغل منذ مئات السنين وفى استطاعة من يرغب فى الزراعة ان يؤجر ما يريد منها فاذا أراد ماجد بيك ، فنحن بخدمته لارشاده الى الطريق السوى الذى يوصله الى غايته » •

واعتدل الدكتور وقال « مادامت الاراضى كثيرة الى هذا الحد فلماذا بربكم تقتلون على أشبار منها ؟ ولماذا لاتؤجرونها انتم ؟ » •

فتنهد الشيخ حسين وقال : « لقد حاولنا ذلك عشرات السنين ، ولكن الملاكين الكبار المجاورين كانوا يسدون علينا الطريق وفوق ذلك فليس باستطاعتنا ان ندافع عن قضايانا فى الدوائر الرسمية ، وأهم من كل هذا عدم وجود رأسمال كاف لدينا لنصب المضخات وارواء هذه الارض » •

فسألت هيفاء : «ولماذا لاتكونون شركة تعينكم على الوصول الى هدفكم ؟ » •

فقال زبالة : « لايدرك المزارعون مزايا الشركات ولا يعترفون باهميتها • اما اشتراك اثنين أو ثلاثة فأمر شائع ولكن ليس فى استطاعتنا نحن ان نشترك مع المجاورين اذ يستهدف هؤلاء الجيران طردنا من

الارض كما فعلوا باكثريتنا الساحقة • ولايعتمد اصحاب الاموال علينا اذ يتوهمـون بنا الشر والاحتيال » •

فسال الدكتور : « ولكن فلنفرض انكم استطعتم استئجار هــذه الارض فهل تنتهى المعارك بينكم ؟ » •

فاجاب سليم : « اننا لا نقتتل حبا بالقتال ، ولو تحقق ما تقول لما رايت خنجرا يشهر » •

وأضاف زبالة : «انك يا ماجد بيك ، زانت محام قدير ، أجـدر الناس بتحقيق هذا الحلم فانتم المحامون تعرفون طرق الدوائر ومسالكها، فيا حبذا لو هداك الله واشتركت معنا بتحقيق هذه الاحلام « انه على كل شيء قدير » فان الزراعة الآن تدر ذهبا والربح منها اضعاف مضاعفة» •

ووكز الدكتور ماجدا بكوعه ، وقال له هامسا : «يالها من ورطة ايها المحامي العظيم • ارنى كيف تخلص نفسك منها» •

ولم يلتفت اليه ماجد بل بقي ساهما مقطب الجبين ، ثم ســأل : « كم يكلف هذا المشروع من المال ؟ » •

فاسرع زبالة مجيبا : « عشرة الاف دينار تكفى مبدئيا لاستغلال عشرة الاف مشارة من هذه الارض ،فالارض رخيصة لو اســتؤجرت والاجرة تدفع أقساطا • ولدينا مجرى يوصل الماء الى الارض ، فليس ثمة غير بناء المضخات لرفع الماء من النهر ، أما الفلاحون فهاهم عبيـدك بين يديك ، ولدينا نحن ثلاثة الاف دينار من هذا الرأسمال » •

وبقى ماجد ساهما مفكرا ، وتبادل الدكتور والدكتورة نظرة ذات معنى والتمعت عيون الفلاحين ببريق امل بعيد ، وظهر القلق على قسمات زبالة الدقيقة وبدت اللهفة عليه ، وسكت القوم مليا وكأن على رؤوسهم الطير .

وكان سليم فى تلك اللحظة يملأ أكوابا من اللبن الرائب ، قدم أولها الى ماجد وقال : «لقد رأيت فى المنام ، بعد أول مقابلة لنا فى المستشفى ، انك قدمت لى حفنة من تربة النهروان ، فاستحالت فى يدى ذهبا لونها كلون الويسكى الذى كنت تشربه تلك الليلة » .

فسأله ماجد وهو يتناول كأس اللبن : « وما هذا النهروان ؟» .

فأجاب الفلاح : «هى الارض البكر التى تتحدثون عنها» .

فسأل الدكتور : «كم مساحتها ؟» .

فأجاب زبالة متحمسا : « نصف مليون مشارة يا بيك » .

وقفزت هيفاء وكاد ماجد يغص باللبن ، وفتح الدكتور فاه وحملق ثم هتف : « يا للسماء ! ومع كل ذلك فالدماء تجرى بين الفلاحين على شبر من الارض ، ولكن خبرنى كم تبعد هذه الارض عن النهر؟» .

فأجاب زبالة مستبشرا «ستة كيلو مترات ، سأريكم اياها قبل العشاء وحق الامام سلمان باك » .

وانتفض الثلاثة معا ناهضين واسرع سائق السيارة ، دون ان ينتظر أمرا الى مقعده ، وتبوأ الثلاثة مقاعدهم الخلفية ، وانحشر حسين

وزبالة بجانب السائق ، وتعلق سليم بجانب السيارة بعد ان تنكب بندقيته وتحزم بالعتاد .

واجتازت السيارة نفس الطريق وما انقضى ربع ساعة على مسيرها حتى أوقفها الشيخ حسين وقال مشيرا لضيوفه : « تفضلوا فقد وصلنا الى ارض الميعاد » .

- ٧ -

نزل المستكشفون عن مطيتهم السهلة ، بجانب ربوة ، وساروا وراء الشيخ حسين المتوجه نحو تلك الربوة ، وتبعوه صاعدين حتى وصلوا الى القمة فانبسط أمامهم سهل واسع متقفز لا يحده البصر،تلتمع تربته تحت أشعة الشمس الآفلة ، وتخترقه سلاسل متوازية من تلال تسير في استقامة واحدة وتبرز فيه عدة ربايا كالعقد بين تلك التلال ، تشبه تلك التي وقف عليها أصحابنا .

وانحنى الشيخ ، فتناول حفنة من التراب فقبلها خاشعا ثم ذراها في الهواء وتمتم كالعابد المتبتل : « هذه التربة من اجود ماخلق الله من ترب . هي ذي الارض فسيحه تنبسط وتمتد حتى الكوت . قد منعها الملاكون الكبار عن الفلاح ، وتركوها فلاهم يزرعونها ولايدعون يد غيرهم تمتد اليها» . وأضاف وهو يلوح بيديه: «لقد شلوا هذه الايدى فمنعوها من توصيل الماء الى هذه الارض واحياء هذه التربة المباركة».

وبدا التأثر على وجه ماجد فانعقد حاجباه شأنه عندما تثور عواطفه، وقال : « قبل مئات السنين كان العباسيون يسقون هذه السهول سيحا ، فيحملون لها الماء من أطراف سامراء . انظروا الى هذين الخطين المتوازيين المتقاربين من التلال . هذه هي اثار المجارى التي كان الماء يملؤها فيحيل هذه الارض الى جنان . لقد اندثرت ، ولم يبق من

ذكراها الا اخبار في بطون الكتب . وهنا تحت أقدامنـــا يرقد اجداد الفلاح العراقي الحاضر ، فهذه الربى المنتشـــرة في السهل كانت قرى عامرة فيها قصور الاقطاعيين والامراء والملوك ، فيها البساتين النضرة التى ترتع في جنباتها القيان والغلمان الحسان ، وما أدرانا ؟ لعل الرشيد جلس يوما حيث أقف ، ولعل هذا النسيم الرخي قد تموج فحمل صـــوت ابراهيم الموصلي والحان اسحاق الى آذان الثملين من الأمراء والشعراء والمغنين . لقد دهمها اخيرا الوباء الأصفر ، هولاكو وجنوده من أقاصي الشرق ، فقتل الفلاح ودمر القرية . وخرب الجسور والمعابر فأقفـرت الارض وتحولت الى اطلال وها هي تنتظر من يعيد اليها الحياة » .

وانتهى ماجد من محاضرته المؤثرة فقال الدكتور مازحا : « لعلـك ياسيدي المحامي ذلك الاله الذي سينفخ فيها من روحه » .

وعاد «زبالة» يضرب على نغمته العملية المقنعة ، فقال مشيرا باصبعه «ها هو المجرى الذي يخترق اراضينا حتى يصل الى هذه التـــلال . انظروا اليه فهو كالثعبان قد دفن راسه في هذه الكثبـــان . ان هـذا المجرى لو اخترق التلول فانه سينحدر في هذه الارض كالشـــلال ، فمستوى السهل هنا اوطأ كثيرا من مستوى جرف النهر حيث تنصـــب مضخة الماء » .

فقال له الدكتور : « يظهر ياصاح انك قد احكمت وضع الخطـط لاستغلال هذه الارض ، وكنت تتربص لعلك تصطاد من يعينـــك على تحقيق احلامك ؟» .

فأجاب زبالة : « ايها البيك الدكتـــور ! أرى انى قد اصـطدت

من يحقق هذا الحلم . او ما ترى البيك المحامى يلوح وكأنه قد سقط فى الشرك . على انى سوف لااكتفي به وحده فانت والآنسة رفاقه في السراء والضراء ، وأرى انكما ستكونان له نعم العون » .

فقهقه الدكتور وقال مخاطبا ماجدا : « اترك سهومك هذا يارجل، واسمع ما يقول مضيفنا العزيز ، انه لايكتفى بك وبى ، انه يريد هيفاء أيضا . ترى ماذا سيسمونها يوم تصبح ربة زرع ؟ انهم يسمون رب الارض (ملاكاً) فما مؤنث هذا ؟ (ملاكة) اليس كذلك ؟ مرحى مرحى ؟ لقد اتينا زائرين فرجعنا ملاكين » .

وأجاب ماجد : « لا تستبعد هذا الذى تتحدث به ساخرا . فلعلك ستكون أول من يساهم فى احياء هذه الارض يا محيي العظام وهي رميم» .

ورجعوا الى مقرهم الاول ، وقد تربع البدر على عرش السماء خلفاً للشمس الغاربة . وكان الطعام قد أعد . فالقطاع مترعة بالارز تغطية جثث محمرة غير متقطعة لخراف صغيرة أو دجاج، تحيط بها اطباق تحوى انواع المخضر المطبوخ مما تنتجه الارض ، وكان البطيخ و (الركى) مشقوقا لكى يبرد ، وقدور اللبن ممتلئة تطفو عليها الكؤوس .

وجلس الرفاق الثلاثة حول القصاع وامتنع المضيفون عن مشاركتهم فى الاكل ، ووقفوا لخدمتهم تبعا لتقاليدهم .

وقال ماجد : « هيا يارفاق ، ولنأكل كما كان يفعل جدنا انسان العصر الحجرى » . وتناول ضلعا من تلك الجثث المحمرة بكلتا يديه ففصله ، ثم قدم لهيفاء فلذات من اللحم وهو يقول : « هكذا كان يفعل انسان الغاب مع النساء عند الاكل » .

- ٨ -

غرفة الاستقبال فى دار الاستاذ ماجد رحيم هى غرفة المطالعة والمكتبة معا .

الغرفة متوسطة الحجم ، ولكنها أوسع الغرف فى منزله المتواضع حيث يعيش مع أمه . وهى مزدحمة بالاثاث ازدحاما شديدا ، وذلك لتقوم بتلك الوظائف الثلاث . فدولاب الكتب يملأ احد جوانبها بطوله، واحتل مازاد منها الرفوف وبعض النوافذ .

اما الاثاث فانيق متين يجمع بين مزايا كثيرة ، ليصلح لاغراض كثيرة فبعضه للجلوس ، وقسم منه يصلح للاغفاء أو الاضطجاع . وتوزعت فوق الجدران صور فنية ، اغلبها يمثل جمال الجسد العارى توزيعا فيه ذوق فنى ، وفى ركن من الغرفة تمثال نصفى لفولتير قد أجلس فوق منصة عالية .

كان زبالة مرتبكا فى جلسته فوق مقعد مريح ، ينظر هنا وهناك حائرا مستغربا . ولولا الهدف الذى شغل فكره لما احتمل الجلوس فى تلك الغرفة .

وكان الدكتور حسام مصطفى ينظر الى زبالة مسرورا بحيرته ، ورأى عينيه تجولان فى الصور ، وتستقران على جسد الفتاة العارية

التي بيدها كتاب (القارئة) ففاجأه قائلا : « أظنك تتساءل لماذا تقرأ هذه الفتاة وهي عارية ؟» .

فاجاب زبالة : « لاادرى يابيك ولانستطيع نحن الفلاحين أن نفهم ذوق الافندية . ولكن لماذا هذا الصنم ؟ مشيرا بقوله الى تمثال فولتير .

فأجابه الدكتور : «أظنه يضحك من محامينا ماجد ، لانه يذرع الغرفة ذهابا وايابا بدون جدوى ولاسبب » .

ودخلت هيفاء ووراءها خادم يحمل فناجين الشاى ، فقالت لماجد: «ان امك تقول بانك مشغول الفكر جدا فى الايام الاخيرة ، وقد توهمت انك قد سقطت فى شراك غانية» .

فقال الدكتور مبتسما : «وهل صححت لها خطأها . قولى لها قد سقط فى شراك الثروة والجاه . ويريد ان يجرنا وراءه» .

فقال زبالة : «عيب على الرجل أن يسقط فى شراك امرأة . او ليست المرأة عبدة حقيرة للرجل ؟» .

فنظرت هيفاء اليه شزرا وقالت : « ايها السيد يا ابا حسن ، اذا كررت أقوالك الفارغة مرة أخرى امامى فساحقنك بأبرة طبية سامة» .

فقال ماجد ضاحكا : « تهديد بالقتل . في استطاعتك يا زبالة ان تسوقها الى المحكمة وتسجنها » .

فقال الدكتور : «سيستعمل حقه لو عارضت فى تحقيق مشروعه» .

وقال زبالة : « انا لااعنيك يادكتورة عندما اتكلم عن المرأة ، فأنت

بالحقيقة رجل أكثر مني ، فأنت دكتورة راقية ، وأنا لا ازال أجهل القراءة والكتابة • • انما اعنى نساءنا الشبيهات بالبهائم» •

فقالت هيفاء : «أنا دكتورة وحسام دكتور أيضا ونحن نشعر بأننا متساويان ، وانت وزوجتك فلاحان أميان ، فلماذا لاتشعران بالمساواة ايضـــا ؟ » •

فقال زبالة متخلصا من ورطته : « ونحن كذلك نشعر بالمساواة انما أذم نفسي ايضا عند ذم امرأتي فأنا اشعر بأننا متأخرون عنكم وهذا من سوء حظنـــا» •

فقال ماجد : «وما فائدة الجدل ايها السادة في التوافه ؟ من يريد رقيا لهؤلاء فليعلمهم ، هيا ساهموا في مشروع احياء الارض الميتة • أنا مستعد لوضع ما ادخرته ، ومستعد لرهن الدار التي أسكنها ، وسأطلب من عمي مبلغا طيبا حتى لو أصر ان اتزوج بابنته مقـــابل ذلك • في استطاعتي ان قدم ثلاثة الآف دينار • وعندكما أيها الدكتوران ثـــلاثة مثلها ، قد ادخرتماها للزواج فقدماها ولدى زبالة ورفاقه ثلاثة أخرى• ها قد وجد المال فأين العمل؟» •

واعتدل الدكتور وقال : «يظهر أيها المحامي البارع انك مصر على ان تسلبنا ما جمعناه لتأسيس دار واسرة ، لقد اقنعت هيفاء وجعلتها تتمرد عليّ • لقد انهارت مقاومتها امامك • انها تحاججني بقولهـــا : « انـها مخاطرة قد تأتي بالربح • أما اذا خسرنا فلا يحول ذلك دون اقتراننا • ولدينا من مهنتينا مايعوض هذه الخسارة » • أما انا فأرى ان من اشتغل

بغير مهنته فهو أحمق مجنون» •

فقال زبالة متلهفا : « لانطلب منكم العمل في غير مهنكم ، فالزراعه لاتتطلب غير المال والنقود والادارة الحسنة • انكم اناس طيبون وسنكون خدما لكم فى كل عمل تقترحونه ، وليس عليكم الا ان تشرفوا علينا ، وتديروا أمورنا • وقد تعهد الاستاذ ماجد ان يحمل على عاتقـــه كل عمل يخص القانون والمحاكم والدوائر • وليس من حقكم ان تعتبروها مخاطرة فأنى اؤكد لكم ان اموالكم ستعود عليكم فى نهاية السنة أضعافا مضاعفة ، وربما تركتم مهنتكم واصبحتم مثرين تعيشون دون جهد ،واذا لم تصدقوا فأسالوا كل من يشتغل بالزراعة» •

فقال ماجد : « اولا تذكر يادكتور يوم لفت انت نظرى فى ملهى من الملاهى ، الى تكاثر الراقصات وتزاحمهـــن على ذوى العقـــال ، واحتقارهن للافندية ؟ انك نفسك قد اعترفت يومذاك بأن أصـــغر مزارع قد أصبح يلعب بالمال لعبا فعلام الخوف ؟ ساهم ، وانى اراهن ان أجمل فتياتنا وراقصاتنا سيتهافتن عليك تهافت الجياع على القصـــاع بمجرد ان تسمى ملاكا» •

فقالت هيفاء ساخرة : « ومن سيتهافت علىّ أنا لو أصبحت ملاكة أيها المحامى الذى اضاع عقله فى سبيل الجاه والثروة ؟ » •

فاستدرك ماجد يقول : «يمينا لقد اضعت عقلى كما تقولين • انـــها وسيلة اقناع ليس غير ، وانت تعلمين شـــــدة اخلاص هذا الدكتـــور لدكتـــورته » •

فقالت « سوف لا أرجع عن الوقوف بصفك لتعلم بأني لا أخاف من راقصاتك ، وسأجبر الدكتور على المساهمة لنرى موقفه مع راقصاته ».

فضرب الدكتور يده بالاخرى ، وقال : « لقد قبلت يا سادة . فلا مرد لحكم هذه الدكتورة الدكتاتورة ، وأنا أخاف من ابرها المسمومة أكثر مما أخاف من غضبها ، وأخشى أن تفسخ الخطوبة لو امتنعت ، وسوف لا أصفح عنك يا سيدى المحامى لو تزوجنا على قارعة الطريق بنتيجة مخاطراتك . وانا لله وانا اليه راجعون » .

- ٩ -

اختفت روح الهزء والسخرية من أحاديث الأستاذ ماجد رحيم وبرقت عيناه ببريق النشاط ، وتبدل طابع الحزن فى وجهه بطابع الجد والاهتمام ، فأصبح وكأنه قد وجد معنى لحياته بعد أن افتقده مـــدة طويلة . وعرفته دوائر الحكومة المختلفة وعرفها ، فهو فيها كل يـــوم ينتقل بين دواوين وزارة المالية ، ودوائر متصرفية اللواء والكتـــاب العدول . وكان يحمل محفظته الجلدية أينما ذهب ، وصارت الاوراق والمستندات تتراكم فى محفظته تحمل تواقيع ، وبصمات ابهامات ، وغير ذلك . ووجد عونا فى أصدقاء كثيرين منتشرين فى تلك الدوائر ، فكانوا يسهلون له بعض المهام ، ويرشدونه الى ما يخفى عليه من دقائق الامور . وكان زبالة صنوه فى تلك الجولات والرحلات ، وكان يزهو ويتباهى برفقته ، ويشعر بأهمية متزايدة لشخصه . وقد اعترف لماجد دون خجل بأنه كان فى كثير من الأحيان ، فيما مضى ، يطرد من تلك الدوائر عند مراجعته طرداً ، فيستعين بالنقود على التخفيف من شراسة الموظـــف المحتد ، الذى لا يكاد يبصر بالورقة الزرقاء والحمراء ، حتى يسميـــه شيخا ، ويجلسه بجانبه ، ويرسل بطلب القهوة أو الشاى له ، واعترف له مرة بأنه رشى محامي وزارة المالية ، فى قضية اقامها على تلك الوزارة ، ورشى بعض الموظفين ممن يحتفظون بمستندات تلك القضية وأوراقها ،

فقدموا وأخروا وأضافوا وحذفوا ، حتى ربح هو الدعوى .

وكان ماجد يحاول جهد امكانه ان يفهمه خطأ تلك الأساليب ، ومبلغ ضررها عليه وعلى الدولة معا ، فكان يجيبه : « انك حديث العهد بالعمل فى الزراعة يا استاذ ، وستريك الأيام أن نصف دينار تدفعه لكاتب صغير أو عشرة دنانير تدفعها لرئيس دائرة ، أو درهما تدسه لفراش ، تقيك من خسارة المئات والالوف » ثم يضيف متفلسفا : « ان هذا المبلغ الزهيد من حقوق هؤلاء الموظفين المساكين ، اذ كيف يمكنهم أن يقتاتوا برواتبهم التافهة . ان الانصاف واجب علينا ، فاذا أردنا أن نربح فيجب ان نحسب حساب هؤلاء المساكين أيضا ، ونعطيهم نصيبهم من هذا الربح ، وهو شيء قليل يمكنك ان تعتبره صدقة ليس غير » .

كان ماجد يدرس اطوار رفيقه الاعرابي فى كثير من اوضاعه التى يراها نادرة غريبة . فهو حديث العهد بأمثاله . كان يراه يعطى كل شحاذ يمر به دون استثناء ، رغم ضيق ذات يده ، ولما أبدى ماجد استغرابه مرة ، قال الأعرابى : « اننا مقدمون على عمل خطير ، والصدقة تدفع البلاء يا استاذ » . وكان فوق ذلك يدفع حسابهما من عنده فى كل مقهى أو مطعم يدخلانه معا ، واذا أصر ماجد على المساهمة أو المشاركة احتد ، وقد يصل به الغضب الى اعتبار ذلك العمل اهانة ، فينسحب ماجد ضاحكا تاركا لرفيقه المجال لارضاء حب الظهور والمباهاة . وفاجأه مرة فى دائرة من الدوائر ذات الشأن فيما بين أيديهم من عمل ، ورأى البغتة على وجه زبالة ، وعلى وجه رئيس الدائرة ، ولمح يد رئيس الدائرة تسرع وهى مملوءة بعدد من النقود الورقية فتخفيها فى

أقرب جيب ، فشك فى الامر ، وطلب من زبالة ، بعد خروجهما من تلك الدائرة ، وكان مقطب الجبين ، ايضاحا فأقسم له الاعرابى بأنـه دين كان في ذمته قد رده للدائن ، ولكن ذلك لم يقنعه فقال لزبالـة « سأنفض يدى من المشروع بتاتا لو اكتشفت أنكم تلتجئون الى طـرق غير مشروعة لتحصيل حقوقكم ، فعملنا قانونى مفيد ولسنا لصوصا أو مهربين لندافع عن أنفسنا بالرشوة » .

وشكى زبالة الى الدكتور تشدد ماجد وتعنته فى أمـور تافهة ، كمنح بعض الفراشين والموظفين الصغار منحا بسيطة ، وأكد له أن تلك النفحات لا تعد رشوة ، ولكنها ضرورية للاسراع واتقاء البطء المضـر فى المعاملات الرسمية .

والتقى الدكتور بماجد ، وطلب منه ألا يضايق هذا المسكين مـا دام يدفع من جيبه مختارا بعض المال فى سبيل تمشية الاعمال بسرعة .

فقال ماجد : « انه يرشى بعض الموظفين يا حضرة الدكتـــور ، وأعتقد ان احالة الارض الينا بنتيجة المزايدة ، بهذا السعر التافـه ، وبدون وجود منافس أو مزاحم ، هو من تأثير الرشوة » .

فقال الدكتور : وهل تشكو قلة السعر ؟ يا لك من رجل أعمال قدير ! ولماذا يذهب بك الظن هذا المذهب البعيد ؟ فانت تعلم ان هذه الارض واسعة جدا وان كل المجاورين قد اكتفوا بنصيبهم منها ، فلماذا تستغرب رخص الأجار ؟ » .

فاجاب ماجد « ذلك لأنى علمت بأن الاعلان عنها فى الجرائد قد

ثم بعد انتهاء معاملة أجارها ، وقد انتبهت وزارة المالية الى هذا الأمر . وتساءلت ، فادعى الموظف المختص ان ذلك كان من اهمال الجرائد ، لا من اهماله هو . أما أنا فاعتقد أن الأمر قد تم بتلك القبضـــة من الدنانير ، التي رأيتها تدخل جيب حضرة الموظف النزيه » .

فقال الدكتور : « وما ذنبك أنت ؟ لعن الله الراشي والمرتشـــي والرائش ، فاهنأ يا سيدي المحامي بأن الله قد سخر لك حتى مـــن يرشو الناس عنك ولا يحملك وزر تأنيب الضمير . واذا كانت الامور لا تتم الا بالكيفية التي تذكرها فليكن غيرك المذنب ، اذا كان ثمةذنب» .

- ١٠ -

دبت فى المنطقة التى جرت فيها المعركة الدموية التى افتتحنا بها هذه الرواية ، حركة غير اعتيادية ، فقد شاع بين المجاورين بان آل فريحة قد تعاقدوا مع جماعة من بيكات بغداد المتنفذين ، واستطاعوا استئجار عشرة آلاف مشارة من أراضى النهروان ، وأن ما حلموا به ربع قرن قد تحقق فعلا .

وذهب الجيران فى قبول هذه الشائعات شتى المذاهب ، فمنهم من صدق وآمن ، ومنهم من كذب تكذيبا مطلقا ، ومنهم من ادعى بأنها محاولة فاشلة جديدة من محاولاتهم السابقة الكثيرة الحابطة .

وكان زبالة والشيخ حسن يتحدثان مع المتسائلين ، من حاسدين ساخرين ، أو من اصدقاء مهنئين ، بلهجة من قد انجز أموره وانتهى من مشاكله ، وأصبح المشروع تاما بين يديه . واذا ما سئلوا عن شركائهم الجدد أطلق زبالة من لسانه الذرب سيلا من الدعاية الضخمة الكاذبة ، فادعى بأن ماجدا ابن احد الباشوات المشهورين ، وان كل متنفذ فى الدولة يمت اليه بصلة القربى والنسب . وان الدكتور حسام والدكتورة هيفاء من أنبل الأسر العراقية وأعرقها ، وأنهم يملكون من العقار والذهب والفضة ما لا يحصى ولا يعد . واذا ما تطور السؤال عن مبلغ ما أعد من رأس المال للمشروع الجديد ، قال زبالة باحتقار :

« ثلاثون الفا وضعت فى البنك مبدئيا ، واذا تطلب الامر فمثلها قد أعد احتياطا لحين الحاجة اليه .

وقد تحداه أحد الحاسدين مرة فقال له : « اذا كان الأمر كذلك فستزرعون كل أراضى النهروان يا أبا حسن » . فقابل زبالة تحديه بتحد مماثل وأجاب : « ومن قال لك أننا سنزرع ربعها أو نصفها . ان هذه الاراضى الواسعة قد اصبحت لنا ملكا بعونه تعالى » .

وتناقل سكان المنطقة هذا التصريح وهم بين ساخر وهازل ومصدق ومكذب .

ووصل الخبر آذان جبابرة الاقطاعيين من المجاورين فقهقهوا ضاحكين وقالوا :

« لقد عثر آل فريحة على فريسة سهلة وأناس سذج جدد ، ليسلبوهم ما بجيوبهم من دريهمات . فلنتفرج على فصل جديد من الفصول المضحكة التى مثلوها على مسرح هذا الجرف مدى ربع قرن » .

ولكن تلك السخرية أخذت تخف شيئا فشيئا حينما أبصروا قطع المكائن الضخمة ، تدرج بها سيارات الحمل الثقيلة فوق السداد الترابى ، فترميها أمام جرف آل فريحة .

كانت القطع من نوع جبار لم يشاهد مثله فى تلك المنطقة .

ودرجت سيارة من ماركة ماك القوية مرة ، وهى تنوء تحت عجلة واحدة ، والاطفال من ورائها دهشون ، وكان زبالة يتقدم السيارة ماشياً وعيناه تبرقان وهو يعطى الأوامر بصوت عال يسمعه القريب

والبعيد ، وحدث لغط عظيم ، واجتمع اغلب الفلاحين على الجرف ، ونزل الحمالون الاكراد بروافعهم وعتلاتهم ، وبدأوا بسحب تلك العجلة .

وأسر زبالة فى آذان صغاره أن يسرعوا الى أطفال الجيران وينشروا بينهم الخبر ليتفرجوا على تلك الآلات الضخمة ، وما كان بحاجة الى ذلك ، فقد اصطف فوق الطريق الترابى عدد من الفلاحين، والملاكين والاطفال ، يكفى لارضاء زهوه .

ولما سأله احد حساده المعروفين : « ماذا ستفعلون بهذه المكائن الضخمة يا أبا حسن ؟ » أجاب ساخراً : اننا سننصب عليها مراجيح لصبيان الفلاحين » . وقهقه مناصروه وأخذوا يسخرون من السائل الشامت .

وتراكمت الى جانب الصناديق والعجلات أكوام من الحصى والرمال والسمنت ، يحرسها ليلا حراس مسلحون بالخناجر والبنادق تحت قيادة سليم ، ويزورها المتفرجون نهارا فيبدون اعجابهم بتلك المكائن الضخمة التى تبدو الى جانب مكائنهم الصغيرة المنتشرة على الجرف كالجبابرة الى جانب اقزام ، وشاع ان آل فريحة سيفتتحون النهروان .

ومر بالجرف ذات يوم ملاك ضخم أحمر الوجه منفوخ البطن ، فأوقف سيارته الفارهة وقال لصديق كان يصحبه : «يظهر ان آل فريحة

جدون هذه المرة » • ثم برقت عيناه وأضاف : «انى أعلم مدى قدرتهم وقدرة شركائهم المالية ، فلندعهم يعملون في بناء هذه المكائن ، وفي حفر الترع والمجارى ، وانى على يقين بأن هذا المشروع بعد انجازه سيؤول الي ، وانى اراهن على ذلك » •

- ١١ -

قدم ماجد المهندس الميكنيكى الذى اختير لنصب المحركات ومضخات الماء الى صديقه الدكتور وخطيبته الدكتورة بقوله : « اسمه لازار لازاريدس ، ويسميه الفلاحون بثلاثة أسماء فمنهم من يسميه نزار ، ومنهم من يدعوه زاردست ، ومنهم من يناديه بالأسطى زاغ .
والزاغ كما لا يخفى عليكم هو الغراب الأسحم ، وأظن هذا الاسم يليق به أكثر من غيره ، فهو على الرغم من جنسيته اليونانية ، ذو وجه أشد أسمرارا من وجه العربى البدوى ، ولعله ينتسب لعطيل » .

واطلق المهندس ضحكة مجلجلة تدل على خفة روحه وميله الى المجون والهزل ، وأضاف بلهجة معوجة : « ان حظي أحسن من حظ اجزاء المكائن ، فلها فى لغتهم أسماء تدل على مهارة فى النحت والاشتقاق والتعريب ، (فرستن) عندهم (رستم) (والفلاى ويل) (فلاوين) (والكونديسنر) (كندية) ... » .

وكانت الدكتورة لا تكاد تفهم ما يقول بعباراته الركيكة المحرفة فخاضت معه فى حديث طويل باللغة الانكليزية ، وعلمت منه انه قد درس فى أرقى جامعات أمريكا ، وحاز بفن نصب المكائن وادارتها ، شهادة عالية .

وشكى لها ما يقاسى من اقتراحات هؤلاء الفلاحين الفجة ، وعدم

اهتمامهم باصول الفن والدقائق العلمية ، ورغبتهم فى انجاز العمل بأسرع وقت ، واستغرابهم لهذا الاساس الضخم الذى اعده ليجلس الماكنة الثقيلة عليه ، وتذمرهم من تعنته وعدم اهتمامه بأقوالهم وخبرتهم ، الى غير ذلك من شكايات طويلة عريضة .

وكان الوقت عصراً ، والعمل قد توقف وجلس الزوار يستمتعون برقة النسيم ، وجودة الهواء . فقال لازار : « لا أدرى لماذا لا يشتغل جميع أبناء الباشوات امثالكم بالزراعة ؟ » .

فبغت الدكتور وقال : « أى باشوات تعني ؟ » .

فقال المهندس « ان جميع الفلاحين هنا يعتقدون بأنكم أبناء باشوات ، ولديكم من الثروة ما يعجزون عن تصوره » .

فقال الدكتور لماجد : « مرحى مرحى . انها مؤامرة جديدة ياسيدى المحامى العظيم . لقد أصبحنا من الملاكين بفضل الحاحك ، فكيف ترى سنصبح من الباشوات ؟ وأبناء البيكات ؟ » .

ثم التفت الى الازار وأضاف : اعلم ايها المهندس ان أبي بقال ولا زال يمارس مهنته ، أما والد الدكتورة فموظف لا يزيد راتبه الان عن الثلاثين دينارا ، رغم بلوغه سن التقاعد ، والمحامى أفقر من علينا ، رغم ان عمه يملك الالوف ، والحقيقة انه الوحيد الذى يمت الى البكوية والباشوية بصلة ، وربما قرر ، اعترافا منه بجميلنا ، أن يلحقنا بنسبه الكريم ؟ » .

فقال ماجد : « كفاك سخرية يا سيدى النطاسى ، واعلم انها طبيعة

اخرى في شركائنا الاماجد ، فهم يفتقدون النفوذ والسيطرة ، فيبحثون عنهما عند شركائهم ومن يعتمدون عليهم • لقد روجوا هذه الاشاعات عنا وأعطونا من الألقاب والنفوذ والأهمية ما لا يمكن أن نحلم به مطلقاء ومصيبتكم اهون كثيرا من مصيبتي ، ففي كل يوم يقصد مكتبي كثيرون من أبناء العشائر ، وبيد كل منهم اقتراح باجار أرض ، أو امتلاكها ، أو التدخل لحسم نزاع • وكل منهم يمنيني بنصيب الاسد ، حتى لقد ضقت ذرعا بكثرة الحاحهم •

ووجهت الدكتورة كلمة عتاب الى زبالة والشيخ حسين والحاضرين من اقربائهم وطلبت منهم الكف عن نشر هذه الاكاذيب عنهم واخبرتهم ان معارفهم في بغداد اذا علموا بذلك فسيكونون سخرية لهم وهزوًا •

فقال ماجد : « لقد حدث ذلك لجنابي الكريم فقد دعاني عدد من زملائي الخبثاء الى عشاء ذات مرة وما علمت سبب كرمهم المفاجيء حتى التأم المجلس ،فاذا بهم يمثلون دورا متقنا في اصطناع التعظيم والخضوع وكيل الالقاب والمبالغة في الاحترام حتى كدت اجن واخيرا علمت من أين أتت تلك المصيبة ، فقد سمعوا بالالقاب التي خلعها علي السيد زبالة ورفاقه • فهم لكي يسمو انفسهم بين اقرانهم شركاء الباشوات خلعوا علينا تلك الالقاب مقدما • او تدرون اني كدت اتصور نفسي حقا باشا وابن باشا ؟» •

فقال الدكتور : «لم يبق الا ان تعتقد ذلك بنفسك ياسيدي المحامي حتى ارشحك لدخول مستشفى الامراض العقلية لاصابتك بأتعس أمراض العقد النفسية ، وأرى ان تأخذ اجازة من هذا العمل المضني فأني أخشى على عقلك من العاقبة » •

- ١٢ -

تقدم العمل فى مشروع ماجد رحيم كما أصبح يسمى ، بسرعة خارقة ، وانتصبت المضخات بمحركيها الضخمين على جرف النهر نظيفة أنيقة وتم بناء حوض الماء والقناطر ، نظف المجرى وطوله عشرة كيلو مترات ليصل بين ذلك الحوض والارض البكر .

وانهمك ماجد بالتعاقد مع الفلاحين الراغبين فى زراعة الارض ، واقبل الفلاحون على العمل فى مشروع ماجد من كل حدب وصوب ، يدفعهم الى ذلك سمعة الارض الطيبة وسمعة الملاك الجدد وما اشتهروا به من طيب المعاملة ودماثة الاخلاق وحبهم لمن يعمل معهم ، واحترامهم لتلك الطبقة التى تعمل لاحياء الارض ، وكان ماجد يباسطهم ويمازحهم وهو يبصم ابهاماتهم على المستندات عند استلامهم السلف وسأل أحدهم: «انك تضع ابهامك على مستند لا تقرأ ماهو مكتوب فيه» .

فتبسم الفلاح وأجاب : « لو طلبت منى أن اوقع صك العبودية لك أنا واولادى وزوجتى لما ترددت . ان لنا غريزة تساعدنا على أن نميز من يريد بنا خيرا عن من يريد بنا شرا ، انوجهك الضاحك وابتسامتك الرقيقة ، وبريق عينيك تدلنى على انك لست من زمرة الملاك الذين عهدناهم فانت تعمل لنا أكثر مما تعمل لنفسك ، وسترى مقابل ذلك منا عجبا يا بيك » .

وأعلن ماجد لسليم استغرابه شيوع اسم «خلف» بين الفلاحين فنصفهم تقريبا يحمل هذا الاسم فهذا «شيوح الخلف وذاك خلف الزمله ، وآخر خلف المطلق وغيره غضيب الخلف .

فأجابه سليم : « ربما كان ذلك لانهم كلهم يخالفون أوامر الحكومة واوامر ملاكيهم . فالمخالفة مبدأهم ، واذا اطاع احدهم فهو من الشواذ» .

وسأل فلاحا يناهز الستين ، وكان يطلب سلفة ضخمة : « انك رجل عجوز ، ومع ذلك فأنك تريد سلفة تساوى اضعاف ما يطلبه سواك وهم شبان» .

فأجاب الشيخ : « انى اطلبها لى ولاولادى الستة وكلهم شبان وسأتزوج بقسم منها امرأة أخرى» .

فضحك ماجد واجاب : « أما أنا فلم اتزوج بواحدة حتى الآن» .

ونزل الفلاحون فى الارض البكر وشادوا لهم اكواخا من الطين والحصير وكانت اعمالهم التمهيدية تنجز بسرعة عجيبة ولم تمض على بدء العمل ثلاثة اشهر حتى تم تنصيب المضخات وحفر المجرى وبنيت فى تلك الارض المقفرة قرية يبلغ عدد نفوسها الخمسمائة وتقرر ان يجرى الماء وتجرب المكائن فى أول يوم من أيام الخريف .

ودعى آل فريحة شركاءهم ، وعددا من اصدقاء شركائهم وكل المجاورين ، لحفلة الافتتاح ، ووقف لازار المهندس وسط المكينتين يعطي الاوامر لسواقها وعمالها استعدادا لاطلاقها ، وكانت أمارات اللهفة

والقلق تظهر على وجه زبالة الفريحة • وأطلق سائق المكينة الاول ، الهـواء المضغـوط من مخزنه ، ففحت المكينـــة فحيحا جعل قسما من المتفرجين يهربون خائفين ، ثم درت دويا هائلا وتحركت عجلتهــا الضخمة ببطء حركة متقطعة ، ثم انطلقت تجرى ، واعقبت الثانيـــه رفيقتها الاولى ، وتدفق الماء فى الحوض فامتلأ به وهدر فى المجرى ، فكاد يفيض ، وعلت صيحة الفلاحين مرة واحدة عند رؤية الماء المتدفق (اللهم صل على محمد) ونحر نوران على حافة الحوض ، فسـالت دماؤها فى الماء فصبغت صفاءه بحمرتها القانية •

ورقص الفلاحون على نغم أهازيجهم عند رؤيتهم تلك الكميـــة الهائلة من الماء المتدفق ، ولعلعت طلقات البنادق فى الفضاء ثم وزعـت لحوم الضحايا على الفلاحين •

وكان ذلك اليوم يوما مجيدا فى تاريخ آل فريحة، وكانت وليمتهم فاخرة تحدث بها الجيران مدة طويلة •

وهمس ماجد في اذن الدكتور وهو يبتلع فلذة كبيرة من اللحم: « الا تشعر بالغبطة والسعادة ، وأنت ترى المئات من هؤلاء الفلاحـــين يغمرهم سرور مفرط ، وتلوح عليهم امارات السعادة والنشاط ؟ أنظر الى الأيدى وهى تصفق للمياه المتدفقة المسرعة الى تلك الارض الميتـــه لتنفخ فيها روح الحياة ، انى لا أفكر بالمال قط ، وأنا أرى ما أرى • ان الربح قد أصبح فى نظرى أمرا ثانويا • لقد وجدت الان معنى من معانى السعادة التى ينشدها الانسان فى كثير من الاحيان ، فلا يجدها • لقد وجدتها فى بريق عيون هؤلاء الفلاحين • اننا قد انشأنا عملا مفيدا

لمئات من الناس ، ووفرنا قوتا للألوف ، وأحيينا أرضا ميتة ، وأعدنـا جزءا من سيرة تاريخية عظيمة . حقا انى لاشعر بسعادة مفرطة » .

وكان الدكتور حسام يصغى الى تدفق رفيقه بالحديث وعلى وجهه ظل ابتسامة حب واعجاب ، وأضاف : «ان هذه القرية تحتاج الى مدرسة ومستوصف ، وسيتم ذلك بعد أن نفرغ من الأعمال التمهيدية » .

- ١٣ -

اتصل الدكتور حسام بدار الاستاذ ماجد تلفونيا غداة يوم الاحتفال ، فأخبره بأنه قد علم ان زبالة والشيخ حسين وسليم قد قبض عليهم ، واوقفوا فى مركز ناحية سلمان باك وانهم يستغيثون به، وأسرع ماجد فاتصل بمدير الناحية فسأله عن علة توقيف رفاقه . فأجاب مدير الناحية بأن الموقوفين قد تجاوزوا على أراض أميرية لاتعود لهم ، وأنه رغبة فى توقيف هذا التجاوز قد تقرر توقيفهم اداريا . ولما أجابه ماجد بأن هذا العمل غير صحيح من الوجهة القانونية ، اذ كان على الادارة ان تمنعهم أولا ،اذا صح هذا التجاوز ، فأن لم يمتنعوا فرض عليهم العقاب ، أجابه المدير : « أنه كان من الواجب ان يتصلوا به قبل القيام بأى عمل فى هذا المشروع ، وما دام قد تجوهل الى هذا الحد ، ففى مقدوره أن يستعمل سطوته الى أقصى حد ، والبادى أظلم».

ورأى ماجد أن المخابرات التلفونية لاتجدى في الدفاع عن رفاقه، فأسرع الى مركز الناحية ووصل الى المركز بعد ساعة واحدة بسيارته السريعة يعلوه الغبار ، ورأى رفاقه فى غرفة الموقف داخل قفص حديدى لايختلف كثيرا عن قن الدجاج .

وكلمه زبالة من وراء القضبان ، وأكد له بأنه غير مستاء من شىء لولا شماتة الحساد ، ثم همس في أذنه قائلا:«هذه عاقبة تجاهلنا للمدير،

وعدم اعطائنا حقه له ، سواء في الدراهم أو بالدعوات . والمجاورون ينوون أحباط العمل وتهديمه مهتبلين هذه الفرصة » .

ودخل ماجد على المدير فرآه جالسا وراء مكتبه يمثل العظمة والجبروت فى غرفته الحقيرة وكان فى غرفته عدد غير قليل من الملاك والفلاحين يكيلون له القاب البيكوية جزافا .

وقدم ماجد نفسه للمدير ، فطلب منه الجلوس بتكلف وكظم ماجد غيظه بصعوبة ورأى ان استرضاء هذا القط المتنمر اولى .

وسأل ماجد : « الا تدرى ايها السيد المدير بأنى مع رفاقى قد أجرنا قطعة ارض من اراضى النهروان ، وأننا قد أجزنا بالعمل على نصب المكائن لتعميرها وارروائها ؟» .

فأجاب المدير : «أعلم ذلك أيها السيد المحامى ، ولكنك يجب ان تستلم هذه الارض مقدما وتحددها قبل البدء بالعمل » .

فقال ماجد : «ولكن العقد ينص على عدم التحديد باعتبار ان الارض غير ممسوحة ولامقسمة ، ولايوجد نزاع عليها فالتساهل من قبل العاقد مع المتعاقد غايته تشجيع الزراعة واصلاح الارض» .

فأجاب المدير ساخرا : «حضرتك أيها المحامى قانونى بارع ولكنك حديث عهد بالزراعة كما يلوح لى ، والاولى ان تسأل غيرك من ذوى الخبرة بالزراعة عن أصول العمل واهمية الدوائر المختصة ، كهذه الدائرة التى تجاهلتموها ، قبل أن تقدم على نصب مكائنكم وأرى ان هذه الغلطة ربما عرضتكم لخسران كل المبلغ المصروف» .

وشعر ماجد بالغيظ يخنقه فأجاب : «فى استطاعتى ان ادافع عن نفسي ومشاريعى اذا هددها مهدد ، واحب أن أخبر حضرة المدير أن القانون فوق المدراء مهما شعر هؤلاء بالعظمة ، وكل ماأريده منك الآن هو أن تطلق سراح شركائى فاني محاميهم وسأقدم شكاية عند كل أعتداء يلحق بهم ولاأرى اى حق لك فى هذا التوقيف».

فاجاب المدير : «يؤسفنى الا اجيب طلبك ايها المحامى البارع ، وقانون العشائر يخولنى هذا الحق كما لايخفى عليك » .

وخرج ماجد فأخذ وكالة قانونية عامة عن رفاقه وأزمع ان يقدم شكوى الى وزارة الداخلية.ورجع الى بغداد فوراً وقابل الرئيس المختص بمثل هذه القضايا في وزارة الداخلية . وطلب منه أن يطلق هؤلاء المساكين الابرياء فاجاب الاخير ان هذه الاوراق يجب ان تحول الى المتصرفية للنظر في الشكوى وان سير المعاملة ربما استمر أكثر من مدة التوقيف فلا يكون فيها فائدة . ثم نصح ماجدا بأن يلتجىء الى الوساطة بدلا من الطرق الرسمية .

وادرك ماجد ان غاية المدير هو التوقيف لكسر نفوذ رفاقه وتثبيط هممهم وايقاف العمل ، ورأى ان الشكوى قد تضره بدلا من أن تفيده فأسرع الى خالد بك وهو من اكابر موظفى وزارة الداخلية ومن أصدقاء عمه ، فتلقاه خالد بك مرحبا وسأله عن أعماله الزراعية الجديدة التى انتشر خبرها وذاع صيتها ، فقال ماجد ضاحكا : « لقد جئتك فى أمر يتعلق بهذا المشروع» : وبسط له شكواه واعلمه بالورطة التى وقع فيها رفاقه فقال خالد بك : « هذا أمر بسيط» . ثم اتصل

تلفونيا بصديق له ، وبعد ان تكلم معه قال لماجد : « سيأتيك رفاقك بعد مدة قليلة الى بغداد ، وتذكر بهذه المناسبة ان العناد مع أصغر موظف فيما يتعلق بمشاريعك قد يجلب لك ضررا كبيرا ولا تنسني عند الحاجة » .

فودعه ماجد وقلبه يفيض شكرا .

- ١٤ -

اجتمع الشركاء فى مكتب الاستاذ ماجد رحيم فى مساء ذلك اليوم وكانت امارات الاهتمام والجد تبدو عليهم جميعا ، وبدا القلق والكدر على وجه الاستاذ ماجد • أما الدكتور فكان يخفى همومه بنكاته الظريفة فقال مفتتحا الجلسة : « ها قد بدأت المشاكل ومن سوء الحظ انها بدأت بعد ان صرفنا ماعندنا ولولا ذلك لهربنا قبل فوات الفرصة فأول الغيث قطر ، وانت ترى ياسيدى المحامى انك رغم مهارتك فى مهنتك لم تستطع ان تنقذ تابعا صغيرا من اتباعك قد اعتدى عليه موظف ادارى صغير ، فالتجأت الى طريقة ماكنت ترتضيها لنفسك قبلا فاستعنت بالنفوذ واخشى ان تفسدك الايام أكثر من هذا» •

فرد زبالة بقوله : « ان النفوذ هو الاول فى كل عمل والقانون لاشيء بجانبه ولاعيب ان يدافع الانسان عن حقوقه بمثل هذا الاسلوب ، فنحن نستعمل النفوذ فى الدفاع كما ترى لافى الاعتداء• ولو طاوعني الاستاذ ماجد لكنت ارضيت مدير الناحية سلفا ، ولو فعلت ذلك لما حدث ماحدث » •

فضحك الدكتور واجاب : «أنه يريد ان يرغمك على الايمان بمبدأ الرشوة ارغاما ياماجد ، كما أرغمك على ان تصبح ملاكا» • ثم التفت الى زبالة وقال : « انى معجب بفنك العملى يا أبا حسن ولكن صديقنا

المحلي ذو ثقافة يعتز بها تمنعه من سلوك مثل هذا السبيل حتى ولو خسر الدنيا بأجمعها » .

فقال الشيخ حسين : « اذا لم تستعمل الرشوة فليستعمل النفوذ وان لم يرد استعمالهما معا فليستعمل القوة لتحصيل حقوقه ، اما القانـــون فالاصلح له أن يتركه جنبا الآن ، ونحن ادرى الناس بقيمة هـــذه هذه القوانـــين» .

وتوثب سليم في جلسته وقال : انا لم نسرق أحدا ، ولم نعتد على أحد فلماذا اعتدى المدير علينا ؟ تالله اذا حاول هذا الارعن ان يعتدي علي دون حق مرة أخرى فأني سأمزق احشاءه بخنجري ، واذا كانت الدولة لاتحمي رعاياها فعلى الرعايا ان يحموا انفسهم بانفسهم » .

وقال ماجد أخيرا : « ايها السادة ان الامر أخطر مما تتوهمـون فقد علمت ان الملاكين الكبار المجاورين غير راغبين في جوارنا ، ولا يوافقهم نجاح مشروعنا ، وانهم قد بيتوا أمرهم وائتمروا بنا بكل ماعندهم من سلطة ونفوذ ، وسيحاولون ان يقبروا هذا المشروع وهو في المهـد فاذا انسحبنا الآن خسرنا كل ما صرفناه واذا اقدمنا ففي الاقدام أمل» .

فسأله الدكتور ضاحكا : « وماطريقة هذا الاقدام ونحن اضعف الجيران طرا ؟» .

فاجاب ماجد ان الاقدام هو بالاصرار على العمل واكمـال ازرع فالنظام يساعد المزارع النشيط واغلب مواد القانون الزراعي تســاعد المـزارع رغم قصورها وضيقها . اني أعلم بأن اعداءنا سيضعون أمامـنا عقبات كثيرة ولكنها كلها غير قانونية ، فعلينا ان يكون جوابنا بالعمـل

مدعوما بالقوة والجرأة .

وتبسم زبالة مستبشرا وقال : « تالله ايها الاستاذ انك حكيم حاذق اما من جهتنا فاعتمد على سواعدنا وسلاحنا ، فالانسان يضحي بحياته دفاعا عن عرضه وماله ، وما قيمة الحياة اذا غلب الانسان على أمره ؟

وقال سليم : « سنعمل ليل نهار حتى تصبح الارض خضراء بعد مدة وجيزة ، واذا حاول أحد أن يمنعنا فسأدفنه في تلك التربة ليصبح سماداً للزرع » .

فقال الدكتور هازلا : « ما دام الامر كذلك فسآتي بسيارة الاسعاف لنقل الجرحي ، ولا قدرة لى على غير هذا ، وعندنا دكتورة أو ممرضة ولله الحمد » .

وقال الشيخ حسين : « ان طريقة أبناء العشائر في اثبات حقهم هي القوة والسلاح ، فابناء المدن لولا سلاح العشائر لما أبقوا للفلاحين شبراً من الارض يمتلكونه . ومحاولتنا سوف لا تحبط اذا ضحينا بعدد من أبنائنا في سبيل كسب حقوقنا » .

فقال ماجد : « اؤمل ألا يصل الامر الى حد استعمال السلاح ، فأعداؤنا الملاكون الكبار يريدون استملاك الارض فقط لا زرعها ، وهنا موطن ضعفهم وقوتنا ، ففي استطاعتنا استغلالها قبلهم . لقد دعانا مدير الناحية الى عقد اجتماع لتقسيم الارض وتحديدها ، ولعلى أتمكن من اقناعهم باقتسامها قسمة عادلة بحيث يأخذون ما يريدون احتكاره منها

ونأخذ نحن ما نريد زرعه ، وينتهى الامر عند هذا الحد بسلام » .

« فأجاب زبالة : « لا تتفاءل مقدماً واعلم أنهم أناس من غـــير طينتك ، وأياك والتساهل أو التسامح ، فهم لا يرضون بغير أخذ كل ما بيدك دون رحمة أو شفقة » .

- ١٥ -

حان موعد اجتماع الملاكين زأصر سليم على أن يرافق ماجدا مدججا بكامل سلاحه • وعقدت الجلسة في كوخ واسع في مزرعة من مزارع المجاورين المتنازعين •

كان ماجد أول من حضر ، ثم تقاطر المدعوون الواحد تلو الآخر، وكان المدير يحتفي بهم ويخاطبهم بالقابهم الفخمة ، ويتبادل معهم النكات متبسطاً ، فكانوا يقابلونه بالمثل ، وكان بعضهم يغالى فى المجاملات مع كل الموجودين متغافلا عن ماجد ورفيقه قصدا • وشعر سليم بأنه وسيده بين هؤلاء كالايتام فى مأدبة اللئام ، وكان المدير يتجاهلهما قصدا ، ولاحظ سليم ذلك فقال لماجد هامسا : « أتريد منى أن أهين هؤلا الكلاب ؟ » •

فقال ماجد : « حذار من تهورك يا صاح ، ولا تنطق بكلمة واحدة ، فاننى أعلم كيف أرد كيد هؤلاء الخنازير الى نحورهم » •

وتكامل عقد المدعوين وكانوا اربعة قدمهم مدير الناحية الى ماجد واحدا واحدا : السيد فرج العيدان يملك خمسين ألف مشارة فى مختلف انحاء العراق ، والسيد احمد السامى يملك ثلاثين ألف مشارة أيضا ، وصالح بيك الجبر ، يملك نصف مليون دينار فضلا عن مزارعه الكثيرة وفخرى أغا الغالب وعنده قطعان من الماشية تغطى أراضى النهروان وله مزارع واسعة » •

ويظهر ان المدير أراد أن يخيف ماجداً بأسلوبه هذا ، وانتبه ماجد الى غرض المدير فأجاب ساخراً « وأنا ماجد رحيم محام بسيط ولا يملك شيئاً مطلقاً » .

وتبادل المدير نظرة مع الملاكين ، ثم بسط خريطة واسعة أمامه على منضدة قذرة وقال : « ان خمسة ملاكين قد أجروا ثلاثين ألف مشارة من أراضي النهروان التي تبلغ مساحتها النصف مليون مشارة ، وقد طلبت مني متصرفية اللواء أن أوفق بين مصالح هؤلاء المستأجرين ، فمع أن الاراضي واسعة جداً الا أن مدخلها الذي يحاذيكم ضيق لا يبلغ الخمسة كيلو مترات عرضاً .

ونهض ماجد والقى نظرة في الخريطة وقال ، في الامكان ارضاء الجميع لو جعلت هذه الوجهة مدخلا للجميع ما داموا كلهم يحاذونها ، فاذا نفذنا منها انبسطت الاراضي أمامنا انبساطا واسعا يترك مجال العمل لمن يريد أن يعمل » .

فانبرى فرج العيدان وأجاب : « لو عملنا بهذا الاقتراح لوجب علي أن أطيل مجرى الماء عندي خمسة كيلو مترات وهذا لا يوافقني » .

وقال أحمد السامي « أما انا فقد حفرت مجرى الى الارض التي أزمعت تعميرها وسوف لا اتخلى عنه لاحد » .

وأضاف صالح بك : « أما أنا فقد طلبت قطعة محددة وهي تمتد من يمين واجهة آل فريحة حتى تصل الى منتصف هذه الواجهة » .

ونهض فخري أغا وقال : « أما أنا فاني أسد هذه الفتحة من اليسار فقد كان أبي يزرع هذه الارض من قديم الزمان » .

وتبسم المدير وقال : « ترى من هذا أيها السيد ماجد بأنه لا منفذ لك الى هذه الارض وأنك قد سقطت فى مصيدة ، وهذا جـــزاء من يمتهن غير مهنته » .

فقال ماجد ضاحكا : « انى لم آت للمشاحنة أيها السادة فأنا أطلب منكم أن ترعوا مصلحة جيرانكم الفلاحين ، فالارض لهم لا لي وانتم اذا ساعدتموهم الآن كسبتم صداقتهم وانى أحب ان يكون التفاهم ديدننـا بدلا من ان نلتجىء الى المنازعات والتشاحن ، وأحب أن أخبركـم بأن أعذاركم واهية خصوصا وانكم جميعـــا لا ترغبون فى زراعة هـــذه الارض » .

فقال فخرى أغا : «ايها السيد انك حسن الظن بشر كائنك ، واعلم بأننا سوف لا نسمح لهؤلاء اللصوص بالنفوذ الى اراضى النهروان . أما كوننا لا نزرع هذه الارض فهـــذا من شؤوننا الخاصة » . واكفهرت سحنة سليم ومد يده الى خنجره ، فوكزه ماجد وطلب منه أن يهـــدأ وقال : « انى اطلب منكم أيها السادة انصاف هؤلاء المجاورين ، فهـــم كلهم فلاحون والارض حياتهم بل خبزهم اليومى ، وأنتم ملاكون كبار، ومن سكنة المدن وصداقة هؤلاء أولى بكم . وتذكروا أنهم قد استدانوا وصرفوا مبالغ طائلة على نصب المكائن وحفر الترع فهل فيكم من يدفع هذه المبالغ ويقبل المكائن والارض على الاقل فيما لو تخلينا عن العمل ؟» .

ولمعت عينا صالح بيك وقال : « اذا تنازلتم عنها بربع الثمن فأنـا اقبلها على شريطة ان تتنازلوا عن الارض أيضا » .

وقال احمد : « هذا لا يعنينا ، ففى استطاعتكم ان ترمـــوها فى

النهر . وكل ما نريد ان نخبركم به بانه لا مجال للعمل لكم في النهروان والاسترحام لا يفيد » .

ونهض ماجد وقال : « اني لا استرحم ايها السيد ، بل أحببت أن أرى مبلغ ما عندكم من حسن الجوار والانصاف ، أما وقد علمت بأنكم تنوون شراً ، فاعلموا بأن حقوقنا لا تقل عن حقوقكم بل تزيد عليها برغبتنا في العمل والتعمير أكثر منكم ، فالارض لمن يعرف كيف يستغلها لا لمن يحتكرها ويمنعها عن غيره ، وقد خاب ظنكم اذ ظننتموني سهل المأكل ، وسنرى من منا يكون المنتصر » .

وأراد سليم ان يشفي بعض غيظه فقال لصاحب الوجه الاحمر المنتفخ : « سنرى يوم نلتقي في المستقبل من هم اللصوص أيها السيد المتباهي بمالك » .

وانتهت تلك الجلسة ، وقدم مدير الناحية تقريراً لمتصرف اللواء فحواه ان المتنازعين قد اتفقوا كلهم الا واحداً يريد أن يثير القلاقل والشغب في تلك الناحية » .

- ١٦ -

عقد ماجد مع شركائه آل فريحة جلسة فى حجرة المكـــائن ، وشرح لهم مؤامرة جيرانهم لتدمير مشروعهم والقضاء عليهم .

فقال زبالة : « هذا ليس بالجديد ، وكنت متأكدا من حدوثه ، ولكنهم ، بعد ان تعاقدنا مع الحكومة ، فقدوا سيطرتهم الســــابقة التى كانوايخنقوننا بها ، فاننى اعتمادا على هذا العقد سأعمل رغم انوفهم » .

وقال سليم : « ان سرعة العمل ، ووضع اليد عـــلى هذه الارض الخالية هو ما سيكفل لنا الحق فى استغلالنا ، ويثبت اقدامنا فيها » .

فأجابه ماجد : « رأى صائب مستند الى أقوى دعائم القانون ،فعلينا بالاسراع فى العمل ، ولأجل ذلك فنحن بحاجة الى أمرين : مساعـدة فلاحينا أولا ، ومال نكمل به شراء الحبوب والادوات الزراعيـــــة الضرورية ثانيا، وانتم تعلمون ان المال قد نفد، وان لا حبوب عندنا قط».

فقال الشيخ حسين : « ان مكائننا وانتاجنا المقبل مما يسيل له لعاب المرابين ، ففى استطاعتنا ان نقترض ما نريد منهم ، والربح بسيط هو ٣ بالمائة فى الشهر » .

فقفز ماجد مرتاعا وقال : « أهذا هو الربح البسيط ؟ وهل نحن مجانين لندفع مثل هذا الربح الذى يعد سرقة محضة ؟ » .

فاعترض زبالة : « لا حاجة للاقتراض وبالربا فنحن لا زلنا غير

متعاقدين مع بياع لبيع المحصول الصيفي ، والبياع يدفع لمثل هـذا المشروع خمسة آلاف دينار عن طيب خاطر ، دون ان يتقاضى فلساً واحداً ربحاً ، وكل ما يجب علينا مقابل ذلك هو ان نبيع حاصلنا الصيفي عنده » .

فوافق ماجد على هذا الاقتراح بسرور .

ونظروا الأمر الثاني ، وأراد ماجد ان يختبر مقدار تضامن الفلاحين في العمل معه ومع رفاقه ، فطلب رؤساء وحداتهم ، فقدموا وساموا ، وبسط ماجد لهم حقيقة الواقع دون خداع أو مواربة .

فقال أحدهم : « وهل هذا ما يشغل فكرك يا بيك ؟ سترى بنفسك كيف نعمل في هذه الارض كالجان ، وسيرى أولئك الذين يريدون ان يسلبونا اقواتنا كيف نطردهم كالكلاب العقورة النجسة » .

وقال آخر : « نحن عبيدك ياسيد ماجد فمر تر عجبا » .

وقال ثالث : « اذا كنت تخشى ان يعارضنا أحد في العمل فأنت واهم ، فلاحو هؤلاء الملاكين كلهم من أقاربنا ، وكلهم يود لو كان يعمل معنا في هذه الارض ولولا تعاقدهم مع هؤلاء لوجدتهم كلهم عندك ، سترى بنفسك كيف أنهم يساعدوننا بدلا من ان يكونوا ضدنا » .

وانبرى سواق المكائن وعمالها فقالوا : « ان العمل معكم ايها السادة يختلف عن العمل مع غيركم فانتم تشعرون بأنكم جزء منا دون ترفع ، واعلم يا ماجد بيك بأن كل هؤلاء الملاكين لا يدفعون لأمثالنا اجورا تساوي نصف ما تدفعون أنتم ، فنجاحكم نجاحنا جميعا نحن والفلاحين » .

وأضاف سليم : « وأرى ان نؤجر ساحبة بخارية (تركتـود) لتعين الفلاحين على شق الأنهر » .

فاعترض آخر : « لا لزوم لهذه الساحبة فسنعمل نساء ورجالا واطفالا ليلا ونهارا حتى تثبت اقدامنا فى أرضنا » .

ونط الشيخ حسين وهو يقول : « سترى أيها السيد ماجد أننا سنستعين حتى بفلاحيهم أنفسهم فى حرث هذه الارض » .

ونهض ماجد وقد برقت عيناه سرورا وقال :

« انى فخور بكم بهذه الهمة ، ولكن أخبرونى هل عندكـــم سلاح ؟ » .

فأجاب سليم ضاحكا : « لدينا خمس بنادق ، وكل فلاح مسلح بخنجره ومسحاته ، وأغلبهم يملك سيفا يستطيع أن يطعن به ، ولكنى اعتقد ان لا حاجة لكل هذه الاحتياطات ، فالعمل سيتم بكل هـــدوء وبدون ضجة . لاسيما وانى قد أوصيت الرؤساء بالكتمان ، وســـوف لا يصل الخبر الى أحد قبل انجاز العمل » ثم شرع سليم يشرح لماجد خطة الهجوم وأسلوب العمل . وما كاد يطلع ماجد على تفاصيلها حتى قال له مهنئا : « انك تصلح قائدا لمعركة أيها السيد سليم لا وكيـــلا لمزرعة » .

- ١٧ -

وقف ماجد ومعه الدكتور ورفاقهما آل فريحة فوق الرابيةالمشرفة على سهل النهروان وكانت الارض مبتلة ، فقد اطلقت المياه عليها مقدما مدة يومين كاملين واجتمع الفلاحون تحت تلك الرابية وكان عددهم يربو على السبعمائة •

وكانت الشمس قد برزت من خدرها فألقت أشعتها الذهبية فوق السهل فتلألأ كالمرآة وانارت وجوه اولئك الفلاحين الغبراء واصطف الفلاحون صفين على طول واجهة النهروان • صف من النساء يحملن غرائر الحبوب ، وصف من الرجال وراء محاريثهم ، ووقف سليم بجانب ماجد ، وبيده مسدسه مشهرا ليعطى اشارة البدء بالعمل • وما كادت الشمس تبرز بكاملها من وراء الافق حتى دوت طلقة نارية من مسدس سليم فتقدم الصف الاول ، وتحركت الايدى يمينا وشمالا مملوءة بالبذر تنثر الحبوب فوق الارض المنقوعة بالماء ، ومضى صف النساء يتقدم فى ذلك السهل ، وهن يهزجن بأصواتهن العذبة أهازيج حماسية مؤثرة ، وبعد ربع ساعة من حركتهن ، دوى طلق آخر ، فتحرك الصف الثانى يسوق أمامه الخيل تجر وراءها المحاريث فراحت تشق الارض الهشة المشبعة بالماء • وضجت أصوات الرجال تجيب على أصوات النساء بمقاطيع من اهازيج مناسبة • وتقدم ذلك

الصف كالجيش يحارب الجشع والانانية والاحتكار .

والتفت الدكتور الى ماجد فقال : «ياله من منظر جميل حقا ! انهم ليفتتحون هذه الارض كما قالوا ، وما أجمله من انتصار بل ما أجملها خطة محكمة ! انظر كيف تتحول الارض الرطبة الى حرث ولكن أيكفى هذا لاثبات الحب؟» .

فأجاب سليم : « ان الحب لينبت هنا بمجرد رميه وسقيه . فالارض بكر وهى خصبة ولود» .

وقال ماجد : لو استمر العمل أسبوعا كاملا على هذا المنوال بدون معارض ، لتم حرث خمسة آلاف مشارة ، اى نصف الارض المأجورة ، ولانتصرنا فى المعركة الاولى انتصارا رائعا» .

فقال زبالة وحسين : « ونحن منتصرون بعون الله » .

ولم يتوقف العمل فى ذلك اليوم لتناول الغذاء ، فقد كان الدكتور وماجد يتناولان غذاءهما الخفيف وهما يتجولان بين الفلاحين كما كان هؤلاء الفلاحون يحملون الخبز والتمر فى جيوبهم ، ويشربون الماء من القلل المعلقة فى أعناق دوابهم .

وانتهى ذلك اليوم بسلام . وغربت الشمس فطلب ماجد من سليم ان يريح الفلاحين . فضحك سليم وقال : «اطلب ذلك أنت منهم اذا استطعت وسترى كيف يجيبونك » .

واستمر العمل طوال ذلك اليوم تحت أشعة القمر . ولما استيقظ سليم فى صباح اليوم الثانى وجد أن الخيل قد أبتعدت فى الافق حتى

كادت تغيب فيه ، وما كان العمـــل يتوقف لملأ أكياس البـــذور أو لاراحة الدواب في فترات قصيرة •

وانتهى اليوم الثاني بسلام أيضا ، ورفض الفلاحون ايقاف العمل الا لبضع ساعات ناموا خلالها •

وبقي ماجد مع الفلاحين خلال مدة جهادهم المجهد وحده ، فقد عاد رفاقه الى أعمالهم في نهاية اليوم الاول لتلك المعركة • وفي ظهـر اليوم الرابع ظهر شرطيان ومعهم مفوض ، تحملهم سيارة فخري آغا ، وما كادوا يصلون الى القرية قرب الرابية حتى نزل فخري آغـا من سيارته وهو يزمجر وكرشه يهتـــز انفعالا ، ومضـى يدعو بالويـل والثبور على المعتدين الذين سرقوا ارضه وتجاوزوا على حماه ، وتقدم مفوض الشرطة ، وطلب المسؤول عن العمل فتقدم ماجد منه وقال : «أنا المسؤول الوحيد عن العمل في هذه الارض ياحضرة المفوض»•

فقال الشرطي : «ان مدير الناحية يطلبك ايها السيد » •

فقال ماجد ساخرا :«أذهب اليه وقل له بأني مشغول بالحـرث واذا كان لديه أمر هام فليبلغني به تحريريا» •

فقال الشرطي : «لقد طلب مني أن امنع العمل في الارض»•

فسأله ماجد : «واي أرض تعني؟»

فأجاب المفوض مرتبكا : « ارض النهـروان » •

فقال ماجـد : « أئتني بأمر تحريري ايهـــا السيد يجبرني على الامتناع عن العمل لاني اعمل حسب مادة في العقد بيني وبين الحكومة

تنص على أن اعمر الارض المؤجرة خلال ستة أشهر والا سقط حقي فيها ، وها قد مضت خمسة أشهر على هذا العقد وليس هنا حدود أو موانع بين الاراضي المؤجرة ، فكلها جرداء بكر كما ترى فأنا اعمل لاني مؤجر وقد دفعت اقساطا مقابل هذه الارض » •

ولاح الغضب على وجه المفوض وقال : « لا شأن لي ايها السيد بكل هذا ، ولكن فخري أغا قد ادعى ان الارض ارضه » •

فالتفت سليم الى فخري وقال : «هلا اخبرتني عن حدود ارضك وأعلمتني بتاريخ استلامها ايها السيد الأغا ؟»

فأجاب الأغا محتدا «نحن هنا منذ عشرات السنين ، نستأجر ونستملك دون معارض فمن أين قذفك الله في اوجهنا ؟»

فقال ماجد « لعله قذفني لادفع الظلم والاعتداء » • فقال فخري وهو يكاد ينفجر غيظا : « اني لا أعرف كيف أتفاهم معك ، وسأرفع شكواي الى المراجع العليا » •

فقال ماجد: « أذهب حيث تريد ولكن تذكر ايها الأغا واخبر مديرك ايضا بأني لست من العشائر وليس في استطاعتك أو استطاعة مديرك ان يقيدني أو يوقفني باسم قانون العشائر » •

- ١٨ -

تربع ماجد على بساط خشن وسط خيمته و كانت الاغصان الجافة التى تغذى النار تفرقع فترسل الشرر وامتلأ سماء الخيمة بغيوم متكاثفة من الدخان ، وزحف ماجد فوق بساطه مقتربا من النار ليستمد من وهجها مايطرد به تلك القشعريرة التي تمشت فى مفاصله ، واستغرب كيف لا يشعر بالبرد فلاحوه أنصاف العراة •

كان الفلاحون محتشدين فى الخيمة ونظراتهم تجتمع عند أبريق القهوة الضخم الذى كان يفور على النار ، وكان سليم يقذفهم بالسكاير قذفا بين حين وآخر ، فيتلقفونها بأنفهم كما يتلقف الطفل الكرة عند اللعب •

وطفق أحدهم وكان كهلا صلب العود يروى أخبار معركة ساهم فيها نشبت بين الجيش التركى وبين الجيش الانكليزى فى البقعة التى حرثها وكان يزداد حماسا كلما ازداد اهتمام ماجد بحديثه •

ورفع الفلاح بيده قحف جمجمة وعظم ساعد ،وكان قد أتى بهما ، وهو يقول : «عندما عثرت سكة المحراث بهاتين العظمتين تذكرت يوم طعنت جنديا انكليزيا بحربة بندقيتى فتعثرت باضلاعه الغضة قبل أن تغوص فى احشائه ، لقد فاجأنا الانكليز يومذاك وهم لاهون ليلة عيد ، وكانت قنانى المشروب امامهم أكواما • لقد رأيت بقاياها

بنفسك يا ماجد بك وهي التي تساءلت عنها مستغربا وجودها بمثـــل تلك الكثرة قرب التل المقفر • لقد قذفونا بقنانيهم قبل ان يتنـــاولوا سلاحهم ، ولازلت أتذكر زجاجة منها وكانت حمراء مفرطحة رماها في وجهي جندي أشقر الشارب ، فسال شيء منها على وجهي فلطعت قسما منه فوجدته مرا لا مالحا وعندها أدركت انه شـــراب الاعـــداء وليس دمي» •

وقاطعه رفيقه ساخرا : «وهل سكرت به ؟»

فأجابه : « وهل يسكر الانسان بالرائحة ويحك ؟» •وعـــاد الى قصته : « فهجمت عليه وقد أعماني الغضب ، وطعنته بالحربة فتلقاهـــا بيده بعد ان حاد عنها فنجا ، وشعرت بقبضته الحديدية تشد على عنقي فتناولت شعر رأسه • وكان طويلا واسعفني خنجري فدفنته في بطنـــه باليد الاخرى ولازلت أذكر عينيه الزرقاوين وهما تنطفئان امـــامي • أقسم لك السيد ياماجد بك أني شعرت بشيء من الحزن عليه ماعلمت سببه ، وما ادراني أن هذه العظام هي عظامه» •

وسمع خارج الخيمة دوي رصاص فقفز سليم وخرج ليستطلع الخبر ، ومالبث ان عاد وأمامه شخص يسوقه باللطمات سوقا ، ورمـــاه أمام ماجد وهو يضحك قائلا : «هاك شخصا من أعوان جيراننا الاماجد سيروي لك طرفا من أخبار نبلهم وكرمهم» •

وتمتم الاعرابي خائفا وقال : « انا في عرضك يابيك ، ولعنة الله على أجداد صالح بيك • لقد حرضنا على مهاجمتكم ليلا ، فاذا عفوت عني اخبرتك بتفاصيل مؤامرة اخرى يدبرونها لكم» •

والتفت اليه احد الفلاحين وقال : «أما زلت تسرق ياحمد يا ابن الفاعلة ؟ ان اللص الصغير ينضوى تحت لواء اللص الكبير آخر الامر» •

فقال ماجد للص منتهزا خوفه : «سأسامحك لو أطلعتني على مؤامرات أصحابك » • وقال سليم مشجعا مهددا معا : « ان حمدا عريق في مهنة اللصوصية • وبمجرد ان تسلمه للشرطة سيحكم عليه بالسجن •

واجاب الاعرابى موجها كلامه لماجد : اجتمع البارحة صالح بيك آل جبر ، مع فرج العيدان وقررا أن يهاجموكم ليلا ويسرقوكم وها نحن قد نفذنا ذلك وفشلنا • وفي الغد سيهجم عليكم فلاحوهم ، ويسقون حرثكم ، ويدعون بعد ذلك بأن الحرث والبذر يعودان لهم ، وبهذه الواسطة يستحوذان على الارض والزرع معا وانطلقت ضحكة من حناجر الفلاحين وقال قائل منهم : « يحسبنا القوم جرذانا وسنريهم من نحن غدا» •

- ١٩ -

بكر ماجد وفلاحوه والشمس تطالعهم من خدر امها ، وهم على أهبة الاستعداد ، وكان سليم قد وضع خططه ووزع أوامره ليلا واطمأن ماجد الى اجراءات رفيقه ، دون أن يكلف نفسه عناء تمحيصها فقد دلته التجارب على أنه ابن بجدتها .

توزع الفلاحون فى ذلك السهل المحروث وهم عالمون بما اختطه أعداؤهم وبما اعتزموا ، ووقف ماجد وسليم على تلك الرابية العالية التي صار يسميها رابية القيادة ، وبيده منظاره المقرب ، وقال لسليم دون ان يخفى اضطرابه : « أخشى أن يتمادى هؤلاء المجرمون فى غيهم فتنشب بين الطرفين معركة تذهب فيها ضحايا كثيرة » فأجابه سليم هازلا : « سترى بنفسك جبن هؤلاء الانذال ، فهم المعتدون والمعتدى جبان » .

وما كاد سليم ينهي كلامه حتى رأى ماجد خرقة ترفرف في الهواء فوضع منظاره على عينيه وقال : « أترى ؟ هذه هى العلامة المتفق عليها؟» .

فقال سليم : « تلك هى » . وأسرع الاثنان الى مطيتيهما فركباهما، وانطلقا نحو مصدر الاشارة . ورأى ماجد وهو فوق حصانه المسرع بأن الفلاحين يتجهون مثله ركباناً وراجلين نحو تلك الاشارة ، وما كادا يقتربان حتى رأيا جمهوراً من الفلاحين متجهين نحو فلاحيهم بين راجل وفارس ، وبأيديهم المساحى والمعاول وبعضهم مسلح بالبنادق .

وهمز سليم جانبي فرســـه فانطلقت به نحو أول القادمين فناداه باسمه وسأل عن قصده من دخول الأرض المحروثة بفرسانه . فأجاب : « نريد أن نسقى هذا الحرث بأمر الحكومة » .

فقهقه سليم وقال : « وهل خولتك الحكومة أن تأخذ حصانى أو ثوبي ايضا ؟ أجب يا ابن الفاعلة ؟ » . وهجم عليه بهراوته ، فرجـع الاول القهقرى ورفع رفاق سليم مساحيهم على الاثر وانشدوا هازجين :

بس يأمر ماجد نفنيها

والله بدمكم نرويها

وجماجم راح نزرع بيها

كلنا لك صالح خليها

ثم هجموا على الهاجمين هجمة واحدة ، ورأى ماجد أن عددا من المهاجمين انقلب على رفاقه ، وانضم الى فلاحيه الذى أعملوا المعــاول والمساحى فى اقفية المعتدين الهاربين ، وبعد أن كان ماجد ورفيقـــه يحرضان فلاحيهم على طرد المعتدين ، انقلبا الى محاولة انقاذ الهاربين من ضربات فلاحيهم المنتقمين القاسية ، ولكن ذهبت محاولتهما هباء ، فقـد طورد المعتدون حتى عقر دورهم واحتل رفاقه المنتصرون مكائن صالح وفرج وعندها صاح بهم سليم منذراً : « حذار من الهدم والتخريب» .

فكفوا وما كادوا يصنعون شراً . وقال بعضهم وهم يلتفون حول ماجد : « لولا أمرك بالكف عنهم لدمرنا منازلهم وأحرقنا مكائنهم » .

وظهر فى تلك اللحظة من بين بيوت الفلاحين الهاربين أربعة من

رجال الشرطة الخيالة ، فتقدم ماجد من أحدهم ، وسأله أكـــان حاضراً تلك المعركة فأجاب ضاحكا : « أجل ، ونعلم بهذه المؤامرة كلها ، واعلم اكثر من هذا أيها اليك بأننا قد أوصينا بمساعدة المعتدين ولكننا نعلم أن هذا غير جائز ، وانا لو فعلنا لاحتملنا وحدنا نتيجة هذا الاعتداء ، ولتملص رؤساؤنا منه رغم أنهم قد امرونا به • أجل أيها السيد اننـــا لا نجهل بأن هذا اعتداء محض وقد سررنا بانتصاركم ، بل لقد هزجنا مع فلاحيكم واننا لنتمنى لكم الموفقية • وحار ماجد في أمره وقال لسليم : « حقاً انه لأمر عجيب ، وانى لا أستغرب مطلقاً لو قدم مدير الناحيـــة تقريراً لمتصرفه يتهمنا فيه بالاعتداء والاغتصاب والهجوم على الآخرين ، بل وربما بمحاولة سلبهم ونهبهم ، وبذلك يدعي بأننا لصوص ضـــد القانون » •

وهكذا حدث بالفعل فقد أسس مركز للشرطة فى تلك المنطقـة بطلب ملح من مدير الناحية والملاكين المجاورين ، بعد أن ادعـــوا بعرائض وتقارير ، بأن المزارعين الجدد وفلاحيهم يهددون أمن المنطقة كلها وأن مراقبتهم واجبة حفظا للامن •

- ٢٠ -

دخلت هيفاء غرفة الاستقبال فى دار خطيبها الدكتور حسام ، فنهض ماجد لاستقبالها . وقال الدكتور : « ها قد عاد البطل بعد الانتصار . انه يحمل كما ترين ، ثأر المعركة وشعار القتال » .

كان ماجد مغبراً وقد لفحته الشمس فشابت سمرته حمرة خفيفة ، وطال ذقنه وشارباه ، وكانت ألوان ملابسه الخشنة قد اختفت تحت طبقة من التراب ، وقال هو يصافح الدكتورة مبتسما : «لقد قدمت توا ، بعد أن أمضيت كل هذا الاسبوع في المزرعة بين القلاقل والمشاكل وكان بودى أن أذهب الى منزلى أولا لأزيل من مظهرى ما يدخلنى في صنف قطاع الطرق . ولكن الشوق ساقنى الى دخول المنزل . ولم أستطع مقاومة الاغراء لما مررت بالباب . فقذفنى الشوق داخلا وأعمانى عن آداب التمدين » .

فقالت هيفاء : « لو ذهبت الى دارك ، واصلحت من شأنك لخسرت صفقة . فقد طلبت احدى قريبات الدكتور أن تتعرف بك بعد أن تحدثنا عنك ، وعن انتصاراتك المتتالية أمامها هذا الاسبوع . لقد قرأت لك شعراً ونثراً مما تنشر فى الصحف ، وسمعت بأخبار مشروعك الأخير ولعلها تكون فى الطريق الان » . فقال حسام : « خابرتها عند مجيئه وسوف لا تتأخر فمنزلها قريب » .

ووثب ماجد مرتاعاً وقال : « أهى مؤامرة علي ؟ • وكيف تقدمانى الى سيدة وانا في هذه الحال ؟ » •

فحال الدكتور بينه وبين الباب وقال : « نريد أن نكافئك على رفعنا الى طبقة ذوى الأطيان وذلك بتقديمك الى صديقة صدوقة لعلها وحدها تستطيع ان تنقذك من الجنون لو انهارت اعصابك ، فى هذه المعارك غير المتعادلة التى تخوضها ، واعلم أنها من طراز يعجبك وأعتقد أنك تروقها وأنت معفر • بل ستأسرها ذقنك الطويلة وسفتها وجهك المغبر » •

فتوسل ماجد يقول : « بربك ليس هذا وقت المزاح ، وسوف لا أتأخر عنكم أكثر من نصف ساعة » • وتقدم نحو الباب وهم بفتحه ، ولكنه فتح قبل أن يصل اليه ووجد نفسه وجهاً لوجه أمام امرأة متوسطة القامة مستطيلة الوجه سمراء ورأى نفسه يتطلع فى عينيها رغم أنفه ، ووجم قليلا ، وهو ينظر الى عينيها اللوزيتين الحالكتى السواد •

ومد يده دون تردد وقال : « لعلك السيدة قريبة الدكتور الذى تآمر مع دكتورته على أن يعرضانى أمامك ممسوخاً ؟ » •

وسمع ضحكة عذبة وصوتاً حنونا يجيب : « أما المؤامرة فأنا مشتركة فيها ولكنها لم تدبر لاظهارك أمامي ممسوخاً كما تقول • انى أرى عليك آثار العمل يا سيدى الاستاذ ، هذه التى تذمها تدل على أنك تضع جسمك ونفسك وروحك فيما تعتزم انجازه ، وهى صفات نادرة فى هذا البلد الخالى من الحماس » •

وقال ماجد فاغر الفم : « هلا أدركت أن صوتك أيتها السيدة يشبه جوقة موسيقية تعزف معا ، انه شيء عذب لم اسمع بمثله » .

وضج الدكتور مقهقها وقال : « ليست القاعدة أن يبدأ الرجل في مغازلة المرأة عند أول مقابلة أيها الاستاذ » .

فقال ماجد « لقد خرقت القاعدة أنت أولاً ياسيدي الدكتور ، فليست العادة أن يقدم الرجل لسيدة لأول مرة وهو بهذا الزي الذي يدل على تحول الأفندي الى فلاح » .

وقالت هيفاء للفتاة : « لقد أدرك هذا المحامي الخبيث موطن الجاذبيه فيك عند أول لقاء . وقد ظننت ان انهماكه في مشاريعه قد أنساه ذوقه ولطفه » .

ويظهر أن الفتاة كانت من طراز الثلاثة فيما يتعلق بالانبساط وعدم التكلف والظرف فقالت لماجد : « لقد توهم السادة الدكاترة بأننا معارف قدماء فلم يقوموا بواجب التعارف حتى الآن ، أما أنت فأشهر من نار على علم . ولكن يجب أن تعرف عني أكثر من كوني امرأة ذات صوت موسيقي وعينين يطال النظر فيهما . فها انذا أقدم نفسي : « اسمي سنية حسن . مدرسة في احدى المدارس الثانوية للبنات ، ولي قرابة بعيدة بهذا الدكتور ، وصداقة وطيدة مع هذه الدكتورة ، ولا أعلم لماذا لم يقدماني لك قبل الآن ؟ » .

فقال ماجد : « هؤلاء الدكاترة يا سيدتي يعتقدون أن المرأة بالنسبة الى الرجل دواء لا يتناوله الا عندما يمرض ، ويزعم نطاسينا الحاذق ان

اعصابى مهددة بالانهيار ، وقد راقه ان تكون الوصفة أنت » .

وقالت هيفاء : « أنتبه يا أستاذ ماجد عند حديثك مع سنية فهـــى آنسة وليست سيدة » .

فقالَ ماجد وقد انبسطت اساريره : « ان الرجال هنا عديمـــو الذوق » .

فاعترض الدكتور بقوله : « ولماذا لا نقول انها هى نفسها رفيعـــة الذوق ؟ » .

مضت الفتاة تحدث ماجد دون حياء أو تكلف ، فأدرك على الفور بأنها تختلف كثيراً عن بنات جنسها اختلافاً يلفت النظر ويوجب الاحترام وأعجبه منها عدم اهتمامها بالفارق الجنسي بينهما ، وما لبث أن أدرك أنها اعمق ثقافة من أمثالها .

سألته باسمة بصوتها العذب : « اذن فانت ايها الاستاذ تحاول ان تكون اقطاعيا لأنك أردت ذلك ، وتظن ان الأمور ستنساق اليك انسياقاً هيناً ؟ » .

فأجاب ماجد : «اني احاول ان اكون اقطاعيا دون ان اظـــن ما ذكرت من سهولة » .

وقال الدكتور : « انه كعادتـــــه اذا اراد امراً مد يده لتناوله . وتروى أمه انه رأى القمر وهو صغير فأعجبه وطلب من أمه ان تناوله القمر ، فحارت الأم ماذا تفعل ، فرفع عقيرته بالبكاء وما زال يبكي حتى احتالت عليه بأن اتته بطبق فيه ماء ، وقالت له : «هو ذا القمر» . ونظر فى الماء فرأى القمر فعلاً فيه . وعندما كبر صار يحاول أن يحقق كل ما يتمناه دون أن يهتم بالمصاعب والمشاكل عند الاقدام على ذلك ، ولكنه يجابهها بجرأة ثم يحل كلا «منها الواحدة تلو الاخرى» .

فقالت سنية : «صفات طيبة حميدة ولكن من أتباع الشاعر الذى يمتدح من لايقدم على الورود قبل ان يعرف الصدور • وعلى كل فتجربة الاستاذ او تجربتكم جميعا ذات فائدة عظمى وارجو الا تقدم له الثروة فى طبق مملوء بالماء ايضا» •

فقالت هيفاء لماجد : « الاستاذة مولعة بدراسة الاقتصاد وفنونه ، حتى أصبحت لكثرة تعمقها فى هذا العلم تتكلم دون أن يفهمها احد ، فأصبحت بذلك قاب قوسين او ادنى من تهمة الشيوعية » •

فاعتدل ماجد مهتما وقال : انا اعترف مقدما بجهلى للنظريات الاقتصادية ، وسأنزل لك عن عرش الزعامة على أصحابى الدكاترة ، فأنا تابع منذ الآن ، بل تلميذ مطيع ، فهلا خبرتنى ايتها الاستاذة على أى منهاج يجرى الاقتصاد فى هذه المملكة ؟ وكيف يصح ان تمنع الارض عمن يريد ان يزرعها ، وتمنح لمن يريد ان يحتكرها فحسب ، رغم غلاء اسعار الحبوب ومستلزمات المعيشة » •

فقالت سنية : « لا أريد ان أخاطر باعطائك درسا ، وانت الكاتب المعروف فى الحقول الاجتماعية ، وكل ما أعلم من احصائياتنا المشوهة الناقصة ، انه يصعب ادخال العراق جملة فى صنف من أصناف الامم التي تتبع نهجا واضحا فى اقتصادياتها ، فقسم من العراق لازال قريبا من دور البداوة الاولى ، وقسم منه يحيا حياة قبلية ، وبعضه قد دخل في دور الاقطاع ، وفى المدن نجد حركة صناعية نامية ، وبعض المعامل تكبر فتشير الى نمو الرأسمالية • وفى هذا الخليط العجيب ، تجد الآراء

الحديثة والمبادىء السياسية العصرية تتخبط ، فتستقر حينا ، ثم تشوه او تمسخ وترمى جانبا ، واهم من كل هذا ان شكل الحكم فى هـذا القطر لاصورة واضحة له ، فلسنا نعلم أمستقلون نحن أم مستعمرون ؟ فبيننا من الرجال الذين عليهم العمدة ،من يعتقد أننا لانعيش لحظة بدون الانكليز ، وبعضنا يؤمن بأن لنا دستورا وقانونا يجب اتباعه والتمسك به . وان عندنا من الاستقلال ما يكفى للمحافظة عليه . اما الشعب فلا يهتم مثقال ذرة بالحكم ورجاله ، ونظره لايتعدى حاجياته الآنية فان وجدها استكان واستقر راضيا ، وان لم يجدها انفجر مطالبا بطريقة ابتدائية فجة . أما بريطانيا ذات المصالح هنا فيهمها ارضاء ذوى القوة وهم فى نظرها المتمولون ورؤساء العشائر ورجال الاقطاع . أما المشتغلون بالسياسة من الشبان المثقفين فهم يحاولون ، رغم قلة تجاربهم وعدم اهتمامهم بالواقع ورغم سعة الخيال عندهم ، ان يخلقوا حركة سياسية عصرية بين أفراد الشعب ويجعلوا ذلك قاعدة ليقيموا استقلال البلاد ونهضتها ولكنهم سيقاسون كثيرا ، وسيفوزون بالنتيجة حتما .

فأنت ترى ياسيدى الأستاذ المحامى ان امثالك يمكنهم النجاح في جمع الثروة والتحول من طبقة الى أخرى ولكن بالصدفة وحدها ، ففى مثل هذا المجتمع لايسير شىء على قاعدة» .

وقال ماجد ضاحكا : " ياله من تشجيع . اذن فانت تعتقدين ياسيدتى بأننا وضعنا مصيرنا فى كف عفريت " . فقال : « هذا

ما أعنى بالضبط ، فقد بلغنى أنك تناجز اقطاعيين يستطيعون أن يبتلعوك لقمة سائغة لو ارادوا ، ولكنك تفلت من بين اسنانهم بمعجزة».

فقال ماجد : « أي انني اشبه القديس الذى قتل التنين فى الخرافات المسيحية أو كادمس الذى قتل التنين الهائل حين قفز وراء اسنانه وأعمل سيفه بحنجرته كما جاء فى اساطير اليونان » .

فضحكت سنية وقالت : « بالضبط أيها الاستاذ فانت بطل خرافي والتنين هو الاقطاع الضخم أو رجاله الذين تعرفهم » .

فقالت هيفاء : « خير لك ان تتسلح بحقن من الابر السامة فيقتل تنينك العصري أيها السيد » .

فقال ماجد : « ولكنى أعتمد على القانون والنشاط والرغبة فـى فائدة المجتمع » . فقالت سنيه : « لا تغالط يا أستاذ ، ولست اخالـك طفلا تؤمن بأن هذه الامور وحدها تكفل لك النجاح ، فأنت محام ، ولابد أنك قد رأيت بصورة عملية قوةهذه القوانين التى تعتمد عليها» ، فقال الدكتور : « يا للعجب ! انها تتكلم مثل زبالة الأمى ، وتؤمن بنفس نظرياته ، رغم ثقافتها الواسعة فما اغرب الأمر ! » .

فقالت سنية : « وما وجه العجب ؟ ان هذا الأمى الذى تتحدث عنه غارق فى مشاكل القوانين حتى اذنيه ، اذ هو فى تماس دائمى بها . وما يحصل عليه من نظريات نتيجة تجاربه الطويلة ، وشدة احتكاكـــــه بالمعاملات الرسمية ، تجعله يعطيني ويعطيك درسا عمليا فى حقيقتهـا» .

فقالت الدكتورة « اذن فأنت تشيرين بما يشير به ، أي باتبـــاع الطرق المعوجةغير المشروعة للوصول الى الهدف » • فقالت سنية : « لا أعني هذا بالطبع ، فمثل هذا الاعرابى الامي يصل الى الحقيقة ولكنه لايعرف كيف يعالجها معالجة دقيقة شاملة بل يكتفى بالعلاج الوقتـى الذى قد يضاعف الداء» • فقال ماجد : «مرحى ايتها الاستاذة • يمينا انك لقطة ثمينة ، ولعنة الله على هذا الدكتور الذى يخفى كنوزه عـن أعين أصدقائه ، فهل تقبلينى صديقاً ، ولى أن أحذرك بأنى ملحـــــاح مضجر ؟ » •

فأجابته مبتسمة : « لقد قبلتك مقدما ، وسننظر في أمر الحاحك وعلاجه رأيا مفيداً فيما بعد » •

أحدث هجوم ماجد ورفاقه العنيف رد فعل عند جميع أربـــاب الارض في تلك المنطقة فتألب عليه القريب والبعيد ، واخذوا يشـنون عليه هجوما عنيفا لا هوادة فيه ولا لين ، فقد غاظ بعضهم ان يؤخذ على حين غرة ، ونقم قسم منهم عليه لانه بعمله الجديد قد أفسد عليهـــم عمالهم وفلاحيهم ، على زعمهم ، وذلك بدفعه لامثالهم الاجور العاليـه والحصص الكبيرة .

واتحدوا وصمموا على أحداث تخريب واسع النطاق في أعمـاله بأساليب شتى منها أنهم سدوا مرة احدى قناطره واغرقوا الجادة العـامة المجاورة لها ، فانتهزها مدير الناحية فرصة لتغريم سليم غرامة باهضـه .
وكسروا مرة أخرى مجرى مائه واطلقوه على أرض احد المجاورين فأغرقها واتلف قسما من حاصلاتها ، فقامت قيامة صاحب الارض واقـام دعوى على الشركاء يطالب بتعويضات جسيمة ، واغاروا مرة على مكائنه بغية تدميرها ، ولو لم يردهم العمال برصاص البنادق لنالوا بغيتهم وغفل عمال المكائن مرة عن غرفهم التي يسكنونها فسطا عليـــها أناس مجهولون بعد أن ثقبوا جدارها الطيني وسرقوها هذا فضلا عن الدعاوى الاجتماعية التي قدمت ضده من قبل جيرانهم المنافسين المختلفين معهـم

على تقسيم الارض • وقدم مدير الناحية تقريرا شديدا مدعيا بأن ماجد ورفاقه يستخدمون ذوى السلوك السيء من فلاحين وعمال بغية القيام بشغب واسع النطاق ، واحداث قلاقل كثيرة للسلطات الادارية ، وقال بأنه غير مسؤول عما يحدث اذا لم تتخذ وزارة الداخلية احتياطات كافية لايقاف تلك الشرور عند حدها •

وكانت تلك المقاومة تزيد من عزيمة ماجد ورفاقه وتقوى فيهم روح الكفاح وتزيدهم تكتلا وتماسكا •

واطلق اعداؤهم سهما جديدا من سهام قوتهم ، فالتجأوا الى الوساطة والمحسوبية وساق كل منهم كل من يعرفه من موظفين كبار ، وسادة أماجد ومتنفذين وغزوا بهم متصرفية اللواء وقدم كل منهم شكواه وكانت الشكاوى كلها متماثلة • واشتغلت دوائر المتصرفية بهذه الشكاوى ، وكان غيظ متصرف اللواء يزداد شيئا فشيئا حتى بلغ منتهاه وارسل وراء ماجد يطلبه •

ودخل ماجد ديوان متصرف اللواء فرأى البيك الحديث العهد بهذه المتصرفية ، وهو أحد الاقوياء بمن ينتسب اليهم متجهما • ففاتحه بقوله: «انى اعرف عائلتك ، واعلم انك رجل شريف ، وانه لايليق بك أن تعمل مع هؤلاء اللصوص وتسيء الى سمعتك وسمعة اهلك» •

فأجابه ماجد محتدا : «انى اعمل مع اشراف لاغبار على سلوكهم أو على سمعتهم وانى أعمل عملا قانونيا فيه فائدة عظيمة للبلاد» •

ثم مضى يبسط له عمله ومؤامرات جيرانه عليه فلان المتصرف

قليلا ثم عاد فنصحه بقوله : أرى ان أسس المشكلة هي خلافك مع مدير الناحية . ورغم علمي بانه موظف صغير الا أني انا نفسي لااستطيع ان اقف ضده فيما لو أراد ان يسيء اليكم ، واعلم ان التفاهم معه أولى فلسنا في وضع يساعدنا على التحقيق في كل صغيرة وكبيرة يدعيها ضدكم».

فقال ماجد : « ولكن ماوجه التفاهم معه اذا كان يخضع للمؤثرات الخارجية بتأثير الرشوة ونحن أناس لانؤمن بهذا المبدأ في العمـــل ، واحب ان تعلم بأن قانون الرشوة قد أخذ يتضعضع في هذه النـــاحية من يوم بدأنا بالعمل فيها ،وهذا ماسبب نقمة كل ألموظفين هناك فقد قطعنا مورد رزقهم الحقيقي . ولاأبالغ اذا قلت بأننا قد أثرنا نقمـــة بعض الموظفين في دائرتكم نفسها».

وشعر ماجد بأنه قد تجاوز الحد لما رأى تقطيب المتصرف وحدته حين أجاب : «اعلم أيها السيد ماجد بأني لاأحب ان اسمع طعنا لايسنده دليل في موظفي دائرتي ،وأني اسامحك للمرة الاولى على شرط ان لا تتمادى في أسلوبك الهجومي وانصحك بالتفاهم مع الموظفين . وأعلم بأني لا استطيع مساعدتك اذا تماديت مع رفاقك فيهذه الخطة الهجومية تجاه جيرانك وتجاه موظفي الدوائر المختلفة . وأرى قطعا لدابـــر هذه المشاحنات ان أقرر بنفسي تقسيم الارض بينكم وتعيين حـدودها، فاذا لم يرضكم ذلك وضعت الحدود قسرا واجبرتكم جميعا على عـدم الاعتداء بعضكم على بعض» .

فقال ماجد :«أننا المعتدى عليهم من قبل الجيران الموظفين قــاطبة ،

واني أعلم مقدما أن النفوذ والوساطة سيعملان عملهما ولكننا سندافع عن أنفسنا بالقوانين وسوف لانلتجيء الى اية طريقة أخرى غير قانونية مهما عد عملنا خارقا للعادات المألوفة والطرق الاعتيادية ،واني أعلم بأن الحق معنا ، ولكني اعلم ايضا بأن السلطة والنفوذ والجاه ضدنا فهي معركة بيننا وبينها وسنرى لمن تكون الغلبة» .

- ٢٣ -

قرر ماجد ورفاقه أن يحتفلوا بانتصـــارهم الأول في المزرعة ، واختاروا لذلك يوم جمعة مشمس ، مـــن أيام كانون الثانى ، وكانت الدعوة مقتصرة على الشركاء المعروفين بالاضافة الى سنية العضوة الجديدة بين الجماعة .

كان اليوم مشرقاً رائقاً تسطع شمسه فى سماء صافية لازوردية ، فتخفف من حدة برد هذا الشهر ، فتجعله أشبه بأيام الربيع .

وانطلقت السيارة التى تقل الأصدقاء ناحية المزرعة فى الصـــباح المبكـــر .

وكان ماجد يصغى الى أحاديث سنية ويرتشف كلامها ارتشافاً فيتغامز الدكتور والدكتورة بخبث .

ومضت سنية تقول جادة : « هى كما قلت معركة بين العمـــل الصالح والقانون من جهة ، والموظفين والاثرياء والمحتكرين وعملهم الفاسدة من جهة أخرى ، واعلم ايها السيد ماجد ان معسكرك ضـعيف جداً ، فاذا أردت ان تتقي اذى الصدمات العنيفة المفاجئة فضع اســوأ الاحتمالات امامك ، والا ذهبت بقواك الصدمات » .

فضحك ماجد واجاب : يمينا لقد فعلت . فقد وضعت الافلاس

امامي كأسوأ الاحتمالات »، وكذلك افلاس الدكتورين المحترمين» •

فالتفت حسام وقال : « مرحى أيها السيد القدير • انك تعـــزم وتصم ، ثم تأمر وتنهى ، ثـــم تغنـــى وتفقـر كما تشـاء • انك ترين يا سنية أننا مسلوبو الارادة تجاه عناد هذا الرجل ، واني أريد أن ننتقم منه بتسليطك عليه ، وتلك حيلة العاجز كما ترين » •

ومضت السيارة تنهب الطريق الخربة ، ونسيم الصباح العليـــل يمسح أوجههم وينعش نفوسهم •

وقالت هيفاء : « لو لم تتورط في مشروع ماجد لما قدر لنا أن نقوم بهذه النزهات الصحية بضع مرات في السنة ، وهي لعمـرى تصـــقل العقل وتهذب الشعور » •

فانفجر حسام ضاحكا وقال : « لو تماديت في تبرير أعمال ماجد أكثر من هذا واختلقت له الاعذار فستثار غيرتي واطلبه للمبارزة » •

فقالت هيفاء :

« يروقني أن أراكما تقتتلان من أجلي ، ألا تشعرين بمثـــــل شعوري يا سنية ؟ » •

فأجابت سنية مبتسمة : « الحقيقة انى لا يلذني أن يحصل نزاع بسببي • فالنزاع يكون عادة على الاسلاب • ولست منهم » •

فهتف حسام محبذا : «مرحى» يامن لست امرأة بعقلك» •

ووصلت السيارة الى المزرعة واستقبلهم منظر مدهش فريـــد وانبسط أمامهم بساط أخضر يمتد حتى الأفق • لقد انقلب ذلك السهل

الذى كان أجرد قبل خمسة اشهر ، الى بساط سندسى تتماوج فوقه الزروع النضرة بفعل النسيم كبحر واسع .

واستقبلهم اصدقاؤهم بحفاوة بالغة .

وقال زبالة وهو يكاد يرقص : « تعلمون أيها السادة أى ربح عظيم وسيكون لكم من وراء هذا البحر المتلاطم من الزرع».

فقال الدكتور : « فكر بالمشاكل أولا أيها السيد زبالة » .

فقال زبالة : « لاتهمنى مشاكل الدنيا أيها الدكتور ما دام هذا الزرع بيدى ، فاذا لم أعط الارض فسأنافس جيراننا المثرين بالمزايدة فان مدة أحدهم ستنتهى قريبا ، والربح المقبل سيمكننى من أعناقهم جميعاً » .

وتوقف زبالة ناظراً الى الفتاة الجديدة وقال : « السيدة هى خطيبه الأستاذ اليس كذلك ؟ » .

فقهقه الدكتور وقال وهو يغمز بعينيه خطيبته « واذا لم تكن كذلك فكيف تصاحبه وتأتي معه الى هنا أيها السيد زبالة ؟ » .

وتمتمت سنية : « لعنة الله عليك ! » .

وقال ماجد لزبالة : « قبل أن تسأل عن هذه وتلك ، عليك أن تعلم أن قرار المتصرفية قد صدر بتقسيم الأرض ، وقد وزعت القريبه منها مع المدخل على منافسينا فكل هذه القطعة المزروعة أمامك لاتملك منها سوى الزرع الذى فيها ، أما أرضنا فتقع وراءها بعيداً ، ولا يمكن الوصول اليها ، وحينما طلبت من المتصرف أن يخبرنى كيف نستغلها ،

أشار الى أحد بنود المقاولة بيننا ، وهو الذي يحرره من مسؤولية ايجاد المجاري ، وقد أجابني فخري أغا ضاحكاً شامتاً : « يمكنكم أيصال الماء اليها بالطيارة» .

فهتف الشيخ حسين : « لقد وضعنا أقدامنا وزرعنا متواصل وعليهم أن يرفعوا أقدامنا عن الارض اذا استطاعوا قبل أن يحلموا بطردنا ، وليس ثمة قانون يعينهم علينا » .

- ٢٤ -

بدا على ماجد هياج هائل وهو يذرع الغرفة ذهاباً وايابا ، ومضى سائق مكائنه يقص عليه الخبر المفجع بلهجة أسف ومرارة : « لو كنت أعلم ما أبطنه المنوض من سوء القصد لما طاوعته ، ولو كان يمثل كل قوى العالم . لقد طلب مني أن اريه تينك الآلتين الدقيقتين اللتين يتوقف عليهما عمل المكينتين ليتفرج عليهما وكنت أمسحهما ، فناولته الأداتين بحسن نية واطمئنان ، فما كان منه الا ان وضعهما فى حقيبته، وأخبرنى بأنهما محجوزتان بأمر مدير الناحية » .

وانفجر ماجد هادرا : « يا للأنذال ! ليس لهم حق قانونى مطلقا بهذا العمل » .

وقال زبالة : « ان الزرع لو أقطع عنه الماء مدة أسبوع فى هذا الشهر فسيهلك حتماً . وهذا هو الذى جعل أعداءنا يختارون هذا الشهر بالذات ، اذ يكفيهم أسبوعان لاهلاك كل ما لدينا من الزرع ».

وتساءل الدكتور: «ولكن بأى عذر سيبررون عملهم هذه المرة؟».

فأجاب ماجد : «لقد كسر أحد مجاورينا الماء على زرعه عمدا ، فاستفاد من الماء فى ارواء الزرع ، وبدلا من أن نشكوه بسبب سرقة الماء سبقنا فشكانا مدعياً بأن مجرانا يؤذي زرعه ، وأراد مدير الناحية

أن يتدخل ، فابنت له أن القضية تخص المحاكم ، ولكن هذا الجـــار الخبيث أقام الدنيا وأقعدها ، وتوسط برئيس الوزارة نفسه ، اذ لـــه علاقة ببعض أصدقائه لدفع الضرر الموهوم ، فخابر صاحب الفخامـــة متصرف اللواء طالبا مساعدة المشتكي ، واهتم المتصرف ، فخابر مدير الناحية طالبا منه دفع الضرر ، فما كان من هذا الأخير الا أن أعلـــن المتصرف عجزه عن مقاومتنا ، واقترح على المتصرف ان يوقف مكائننا عن العمل فسمح له بذلك . ولكنهم قد أوقعوا أنفسهم في ورطة عظيمة .

وقال زبالة « سيتكبدون كل الأضرار التي تلحقنا من جراء هذا العمل ، وليست هذه اول قضية غلبت فيها الدولة » .

فقال ماجد « اني اخشى من شيء واحد وهو أن تتملص الدولة من مسؤولية هذا العمل وترميه على عاتق مدير الناحية ، وفي هـــذه الحالة نحكم على المدير بدفع الضرر ، وهو موظف لا نستطيع حتـــى حجز راتبه ، فنكون قد خسرنا محصولنا بأكمله مقابل حجز أثاث بيته الذي لا يساوي مائة دينار ، وهذا ما يتوق اليه اعداؤنا » .

وقال الدكتور : « يالها من خطة جهنمية ، ولكن ألا نستطيع أن نشتري اداتين صغيرتين عوض المحجوزتـــين ونعود الى العمل ، مادام المنع غير قانوني ؟ » .

فتنهد الشيخ حسين وقال بانكسار : « هذا ما خطر لي ، وقد درت الأسواق بأجمعها ، فلم أعثر على واحدة ، وقد حاولت استعارة مثلهما من جيراني فلم أجد ما يماثلهما نظراً لضخامة المكينتين » .

وقال ماجد ليس لنا الا طريقة واحدة هي أن نهدد هذا المدير بالقانون وسأبلغه بانذار رسمي بانه مسؤول عن الضرر هو ودائرته لعله يرعوي .

وتحفز سليم وقال : « هنالك خطة آخرى وهي أن اذهب الى هذا المدير فأدخل دائرته وأطلب منه الاداتين باللين ، فان لم يفعل ضربته حتي يغمى عليه ، وسأسجن طبعاً ، ولكن هذه الحادثة قد تجلب نظر الحكومة الى سوء ادارة هذا الرجل » .

فقال ماجد : « حذار من خططك الهجومية ياسليم ، واعلم أنك لو فعلت ما تقول لايدت تقارير مدير الناحية هنا ، ولأثبت للملأ أننا كما يقول لانرعى حرمة لقانون ، ولا نهتم بالادارة ، ولا بموظفيها ، وبهذه الطريقة تعطي لمقابلك فرصة للطعن فيه ، وثغرة منها ينفذ اليك ويدمرك كما اني أوصيكم جميعا بعدم التحرش بأحد بأساليبكم الهجومية » .

وعاد سائق المكائن يقول : « ارجعوا الى هاتين الأداتين مرة أخرى والويل لمن يحاول أخذهما مني بعد الآن ، ولو أتاني أحد هؤلاء الكلاب مرة أخرى فسأجعله طعمة لعجلات المكينة » .

قال الدكتور حسام وهو يحتسى فنجان الشاى أمامه : « ها قـــد تحققت تنبؤات سنية يا ماجد • فقد كانت تنتظر كل هذه المقاومة سلفاً، ولكن كيف استطاعت ذلك بهذه الدقة ؟ » •

فأجابت سنية ضاحكة « ليس فى الامر مهارة أيها الدكتور ، فانى أعلم مصالح الطبقة التي تتضرر بعملكم ، أعلم مدى سلطتها وقوتها • ولست خيالية بحيث أفترض وجود الانصاف ، والعدل الى غير ذلك من أقوال الوعاظ، فالنتيجة كما ترى كفاح عنيد فى سبيل مصالح متضاربة ، والأقوى هو الغالب » •

فقالت هيفاء : « ما أشبه ذلك بتنازع البقاء فى عالم الحيوان ! » •

فقالت سنية : « هناك فرق واحد هو أن التنازع فى عالم الحـوان يحدث بين الاجناس المختلفة ، والحيوانات التى تعيش معيشة اجتماعية كالنمل والنحل لا تتناحر أفراده بل تتعاون • ويشذ الانسان عن هـذه القاعدة حسب الظاهر ، ولكنه فى الحقيقة لا يشذ ، فما نراه تطاحناً بين الأفراد والأمم سوف لا يدوم كثيرا فى حياة الانسان ، فالتنازع هنا يكون بين الانظمة لا بين الافراد ، وسيفوز فى النهاية النظام الذى يكفـــل انعدام التنازع الفردى ، ويؤيد التضامن الاجتماعى بين أبناء البشـــر

جميعاً فلا شك أن ذلك العهد سيكون بداية فجر جديد في تاريـــخ الحضارة الانسانية » .

وكان ماجد يصغى الى نبرات صوتها الموسيقى : بلذة وشغف ، وما لبث أن قال : « انك لتدخلين علينا بمحاضراتك الاجتماعيـــة الناضجة السرور ، وتطلقين افكارنا من عالمنا الضيق الى عالم أوسع ، بحيث تهون علينا المصائب الفردية ، وحتى الاجتماعية فأى حظ عضيم رماك فى طريقنا فى مثل هذا الوقت العصيب ! » .

وقال الدكتور متباهياً « بل قل أى رجل عظيم فكر بادخالها فـى مجتمعنا ، فلماذا تغمط حقوقي أيها الاستاذ ؟ » . فضحك ماجد وقال : « أجل يصح ذلك لو استطعنا أن نمتدح الفرد اذا ما نطق بكلمة فصيحة صدفة وهو يعوى ويهمهم واعتبرناه انساناً » .

وقال الدكتور مصطنعا الغضب : « انى احتج أيها المحامى على غمطك حقوقى فأنت قد أضعت ثروتنا ، ثم تريد أن تنكر علينا عقلنا » .

فقال ماجد : « وما تقصيرى اذا كنت واحداً منكم ، فاقبلني فى زمرة القرود معك أيها الدكتور » .

ووقالت سنية : « كفى مزاحاً أيها السادة ، وخبرنى أيها السيـد ماجد عن محاولاتك القانونية لانقاذ زرعك » .

فقالت هيفاء : لقد وقع ما تنبأ به هو أيضا . فقد رمت وزارة المالية المسؤولية على عاتق المتصرف ، ورماها المتصرف على عاتق مدير الناحية .

وخاف مدير الناحية من النتيجة فقال بان المتصرف هو الذى أمر بهـــذا العمل ، وفشل بدعواه اذ ليس عنده مستند قانونى ، واستمرت الدوائر تتجادل حتى مضى شهر كامل على الزرع المسكين الذى حرم من المـــاء ظلماً فذوى » .

فقالت سنية « ان تدمير مزرعتكم لوحدها ليس بذى قيمة للمصلحة العامة او وقف الامر عند هذا الحد ، ولكن الجراد يجتاح المزارع فى كل مكان ، وهو ينبىء بموسم صعب . فاذا أضفنا ذلك الى تدمـــير مزرعتكم التى لها ما يماثلها في كل مكان وصلنا الى نتيجة مرعبة ، فقد نجد الطبقة الفقيرة تموت جوعاً فى السنة القادمة » .

فصاح ماجد : « يا الهي ان هذه العملية لم تسبب ضرراً لنا وحدنا، فانى اشعر بأن هذا الاحمق قد قتل بعمله مئات من الناس لا الـــزرع لوحده . انى ادرك الان فقط لماذا يفقد سليم صوابه فيهدد بالقتـــل والانتقام لشخصه بنفسه ، فقد كدت أصل أنا أيضا الى هذه الدرجة من اليأس القاتل » .

فقال الدكتور : « انك لا تصل اليها ما دامت الاستاذة تعظـــك وتحاضرك بصوتها الموسيقى ، وما دام القانون الذى درسته يقيدك ويطلق أيدى اعدائك لتكيل لك اللطمات بدون حساب » .

فقالت سنية : « القانون هو دائما عون للقوى على الضعيف ، وها قد رأيت ذلك بنفسك أيها الاستاذ ماجد » .

فقال ماجد لسنية : « لقد كدت لا تبقين على شيء من احترامي لشخصي واعتزازي بدراستي ، حتى لقد أوشكت أن اعتبر نفسي فرداً حقاً » .

فقالت سنية : « اهتم بأصدقائك الفلاحين ، واسترشد بآرائهم ، واجتنب الغرور فلعلك تنجو معهم باعجوبة » .

- ٣٦ -

اجتمع الدكتور حسام وزبالة ومدير الناحية في عيادة الاول ، وقدم زبالة مدير الناحية للدكتور ، فسلم الدكتور على عدوه المتجبر سابقاً المتخاذل لاحقاً .

قال مدير الناحية ووجهه شاحب ونظارتاه تهتزان فوق أنفه ، وهو يرتجف : « أقسم لك أيها الدكتور بأني لم اقصد أن اسيء اليكم وليس بيني وبينكم عداء شخصي ، ولكن ما عساني أصنع لكم وقد تألب عليكم كل أرباب الارض وجبابرة المال ، يظاهرهم أكبر المتنفذين في الدولة ؟ وانتم تعلمون جيداً بأن المتصرف قد خابرني بنفسه شخصيا لايقاف مكائنكم ، فهل كنت استطيع أن أفعل غير ذلك ؟ وما فائدة اداتتي في المحاكم بعد أن تملصت الدولة من المسؤولية وتخلصت من دفع التعويض بوضع اللوم كله في عنقي ؟ انكم اذا ما حكمتم على بدفع الضرر الذى يقدر بعشرات الالوف من الدنانير فانكم لا تحصلون فعلا الا على بضعة عشر دينارا ، هى قيمة أثاث بيتي . وان راتبي ثمانية عشر دينارا وهو غير قابل للحجز قانونا كما تعلمون . وكل ما املك لا يساوى مائة دينار ، فمن أين تنالون ما تريدون من العوض ؟ » .

فقال الدكتور : « وهل تعني أيها السيد المدير أننا نتركك بسلام بعد أن احدثت هذا التدمير المريع ؟ » .

فقال المدير : اني سأنفعكم كثيرا اذا ما تخليتم عني ، فلو وقفت في صفكم لزرعتم في الموسم الصيفي دون معارض زرعا يعوض لكم ما خسرتموه كما أني اكفل لكم أن تصبح الارض التي تصرفتم بها من جملة الاراضي المؤجرة من قبلكم ، فذلك بيدي » .

فقال الدكتور : « أهي رشوة ؟ » .

فاعترض زبالة وكان يصغي منتبهاً : « أيها الدكتور أنها فرصتنا ، وليست خسارة موسم واحد بالشيء المذكور في تاريخ المزارع ،وسوف لا نحصل على شيء اذا أصررنا على دعوانا . أما اذا سامحناه فان عملنا سيكون احساناً في رقبته ، ولو وقفنا ضده لأحدث في أعمالنا تدميرات أخرى أعظم خطرا من هذه ، فهو يستطيع أن يخمن حصة الحكومة من الزرع المتبقي عندنا أضعافا مضاعفة ، فيجبرنا على شراء حبوب غالية تقدم بنصف ثمنها للحكومة ، كما انه يستطيع أن يشجع الفلاحين على الهرب بما عندهم من ديون ، وذلك بمجرد عدم الاهتمام بتعقيبهم ،وغير ذلك ، وأرى ان نحل التفاهم محل الخصام مع حضرة المدير ، وتبادل المصالح » .

وقال المدير منتهزاً تلك الفرصة : « اني رهن اشارتكم ، واذا ما تخلصت من الورطة التي أوقعني فيها الملاكون الكبار والموظفون الكبار فاني أعدكم بشرفي بأني سأخاطر حتى بوظيفتي في سبيل مساعدتكم » .

فأجابه الدكتور ساخراً : « شرفك وحده لا يكفينا أيها السيد بل نريد ضماناً آخر ، فمن الذى يكفل لنا بأنك لا تنقلب علينا بعد أن نتنازل لك عن حقوقنا فى الدعوى المقامة عليك ؟ » .

فقال زبالة : « الأمر بسيط سوف نبقي الدعوى معلقة حتى تنتهي مشكلة الارض ، وننتهى نحن من بذار الموسم الصيفى » .

فقال المدير : ومن يكفل لى أنكم ستتنازلون بعد هذا ؟ » .

فقال زبالة : « انا تحت سلطتك دوماً تستطيع أن تصنع بنا ما تشاء بأساليبك غير القانونية ، فيما لو خالفنا الشروط المتفق عليها ! » .

فقال المدير « الحقيقة انى أعتمد على شرفكم وعلى مجرد وعدكم» .

فقال الدكتور : « الحقيقة انك تعرف أن شرفنا يعنى شيئاً بالنسبة لنا » .

وتجاهل المدير تلك الاهانة وقال : « بقى أن يقتنع الاستاذ ماجد فهل تكفلون اقناعه وهو العنيد المتصلب ؟ » .

فقال الدكتور : « عندى طريقة لاقناعه وأستطيع أن أعطيك وعداً بأن الاتفاق بيننا قد تم » .

وقال زبالة لحسام ضاحكاً مستبشراً : « اعلم انك ستحمل خطيبته الأستاذة على اجباره على القبول ، وهى وحدها تستطيع أن تقنعه » .

فضحك الدكتور وقال : « اجل نتعاون أنا وخطيبته عليه » .

- ٢٧ -

حوصر ماجد فى داره ، وضرب حوله رفاقه وشركاؤه نطاقاً ضيقاً لاضعاف مقاومته ، وانضمت سنية الى الجبهة المحاصرة .

وبسطت لماجد الحجج ، وقامت عليه البراهين ، وكان زبالة ، اذا لاح له شبح اليأس ، نظر الى سنية مستجيراً ، واتفق الدكتور مع الدكتورة فلم يسخر أحدهما من الاخر خلافاً لعادتهما بل صرفاهما الى اقناع ماجد بوجوب المثابرة ، وترك اليأس جانباً .

وأخيراً سلم ماجد بمطاليب رفاقه وقال : « فلنفرض أننا تركنا عقاب المدير فى سبيل الاستمرار على العمل فمن أين نأتى بالمال ، وأنتم تعلمون ان آخر درهم فى جيوبنا قد نفذ ؟ » .

فأجاب زبالة مستبشراً : « ما دمت قد رضيت بالاستمرار على العمل ومهادنة المدير ، فما أسهل ايجاد المال ! » .

فقالت سنية : « اذا كنت تعنى بالسهولة الاقتراض من المرابين بسعر ثلاثة بالمائة فى الشهر فليس الامر سهلا كما تقول » .

فقال زبالة : « انى اقدم لكم خمسمائة دينار ، ولا يعنيكم من أين احصلها » .

فأضافت هيفاء : « ونحن نقدم ثلاثمائة قد كسبناها هذه السنة والفضل فى ذلك لتفشى الاوبئة والطواعين » .

وقالت سنية : « أيها الاخوان هل تقبلون شريكاً جديداً ؟ » .

فسألها ماجد بلهفة : « ومن هذا الشريك الجديد الذى يقبل أن يشترك فى عمل يوشك أن يقضى نحبه ؟ » .

فقالت سنية : « أنا هو هذا الشريك ، وعندى خمسمائة دينار أقدمها بسرور ، وسواء عندى خسرت أو ربحت ما دامت تعطى فرصة اخرى لهذا المشروع » . فقال ماجد : « أنا لا اسمح لك بذلك ، ولا أرى من حقنا أن نسلبك ما ادخرته » .

فقالت سنية مبتسمة : « وبأى حق تمنعني أيها الاستاذ ؟ أظنك قد توهمت أنت بأنى خطيبتك كما توهم شريك لك من قبل ، فراق لك ان تفرض ارادتك وأوامر علي » . فاحمر وجه ماجد وقال : « انى لا القى أوامر ، واذ أصر الرفاق على قبول تضحيتك فسأنسحب من المشروع نهائيا » .

وهنا انبرى الدكتور فقال : « واذا قبلت سنية ان تكون خطيبك فهل تقبل منها الدراهم ؟ » . فضحك ماجد وقال : « الامر يختلف حينذاك وعند ذلك فقط استطيع أن ابرهن للاستاذة على أنى لا افرض ارادتي لا على الخطيبة ولا على القريبة ، وأوامرها حينذاك مقبوله على الرأس والعين » .

فضحكت سنية وقالت : « اذن قبلت خطبتك أيها الاستاذ العنيد

مقابل قبولك مساهمتي في الشركة » .

فوثب ماجد فرحا وقال : « لا يهمنى الان خسرت المزرعـــة أم ربحت ، اني احمل كلامك يا سنية على محمل الجد وسألزمك به » .

فقالت سنية : « انى جادة فيما أقول على شريطة أن تجد فى العمل فلا تتساوى عندك الهزيمة والانتصار ، ولا بأس من التضحية في سبيل التجارب العلمية » . فقال زبالة : « لا تهمنا مبرراتك أيتها الاســـتاذة وماجد خير زوج لآنسة مثقفة مثلك » .

فقال الدكتور كمن يشكو ويتظلم : « هاكم انسانا عمليا استطاع أن يتزوج امرأة راقية ، ويربح فوق ذلك خمسمائة دينار ، أما أنا فقد خسرت الوفا وقبلت امرأة تهددنى كل يوم . أيتها الدكتورة انى سأثور على الظلم ، وسوف لا أقبل أن أكون دون ماجد » .

فأجابت هيفاء ضاحكة : « سأعطيك الف حقنة تحوى ملايـــين الجراثيم لأجرب انا أيضا فيك تجربة علمية من نوع آخر » .

فقال ماجد جذلا : « اطرحا الشجار أيها الدكتوران ، واعلما بأنى سأبيع داري لأدخل المزايدة ضد فخرى أغا ، وسأصول وأجول حتى أنقذ هذه المزرعة مادامت الاستاذة تظاهرنى » .

فقال زبالة لسنية : « اذا كان ثمة فضل فى انقاذ المشروع فهو لك أيتها الاستاذة ، وسأقدم الفا بدل الخمسمائة ، ما زال الاسـتاذ قد قبل منازلة فخرى أغا ، فالاغا لا يصرع بسهولة » .

فقال ماجد : « سنصرعه حتما يا أبا حسن » • وقال الدكتور :«أما أنا والدكتورة فلا نستطيع أن نقدم أكثر مما قدمنا ، فهيا الى الصراع وسنصفق لكما حين تنتصران • ان ماجداً قد أصبح (شمشون) بعـد أن وجد دليلته ، خلاف شمشون التوراة الذى فقد جبروته بعـد ان تزوج دليلة » •

- ٢٨ -

ازدحمت قاعة المزايدة في متصرفية لواء بغـــداد بالمزايديـــن والمناقصين والفضوليين والمتفرجين ، وكان ذلك اليوم هو اليوم المعــين لاحالة القطعة التى كانت مؤجرة لفخرى أغا من أراضى النهروان ، وهو ذلك الجزء الذى تجدد أجاره مراراً دون أن يزرع ، والذى كـــان مجهول الحدود فأصبح محدداً لقطاع الطريق على ماجد ورفاقه . وكان فخرى أغا يحتج كل مرة يطالب فيها بالاجرة بعدم استلامه الارض ، بعدم زرعها وبغير ذلك من الحجج الواهية التى يحوكها له مدراء المال والواردات ، لقاء بضعة دنانير ، ليستند عليها فى عدم وضع الأجار .

وكان فخري أغا بين الحاضرين ، وسلم على ماجد وزبالة سلاماً حاراً غير مألوف فأجابه زبالة ساخراً : « فى هذا اليوم يتقرر مصيرنـا ومصيرك ، وسنرى هل فى استطاعة الدولة أن تمنعنا من المزايـــدة ضدك ايضا » .

فقال فخرى أغا : « ان الذنب في شدة المقاومة ضدكم هو ذنب بقية المجاورين لا ذنبى أنا » .

وسحب الأغا ماجداً وانفرد بـــه وهمس فى أذنه أن الارض لا تجديك يا ماجد بيك ، فاذا كنت ترغب فى المزايدة لتحصيل بعض المال

بأغلب الحاضرين ، فني مستعد أن اعطيك مائة دينار الان على شرط أن تتخلى عن المزايدة » .

فنظر اليه ماجد مهتاجاً ، ثم تركه وهو يقول : « حقا انكم بشر من طينة غير طينتي ، كما يقول هذا الاعرابي الذى تريد مني أن اخونه » .

والتحق رفيقه به فرآه يبتسم ويقول : « لقد حاول أن يرشوك ، أليس كذلك ؟ لولا خوفي من الشرطة لبصقت في وجهه » .

وأعلن الدلال بصوته الجهوري : « خمسة آلاف مشارة من أراضي النهروان لمدة ست سنوات بمبلغ مائة دينار على فخرى أغا » هل من مزايد ؟ » .

فتقدم ماجد ورفيقه من المنصة التى جلس وراءها متصرف اللواء ولجنة ادارة مجلسه ، ومدير الواردات وقال زبالة لرفيقه هامساً : « وجه له ضربة قوية عند أول دخولك المزايدة فهو جبان » .

وأعلن ماجد « علي بخمسمائة دينار » .

فلهث فخرى اغا مرتاعاً ، وسقط القلم من يد مدير الواردات ، وتهامس أعضاء المجلس ، وتطلع المتصرف في وجهه مستغرباً .

وأراد مدير الواردات أن يتأكد من قول ماجد فقال : « وأين التأمينات يا سيد ماجد ؟ » . فرمي ماجد على المنضدة ورقتين من فئة المائة دينار وقال « أيكفى هذا ؟ » .

فقال مدير الناحية « واحدة تكفى » .

فقال ماجد احتفظ بالاخرى ، فان المعركة سوف لا تنتهي بسهوله ولكنني اراك لم تطلب من فخرى آغا التأمينات القانونية ؟ » .

فقال مدير الواردات : « انه ملاك كبير وهو مؤتمن عندنا » .

فقال أحد أعضاء مجلس الادارة مبتسماً : « ارى أن رزمة الاوراق المالية التي في جيب السيد ماجد ضماناً أقوى » .

وأضاف فخرى آغا عشرة دنانير على المبلغ الاخير بصوت مرتجف يوجب الرثاء .

فقال ماجد : « الف دينار » .

وابتلع فخرى آغا ريقه واضاف : « عشرة دنانير » .

فقال ماجد : « ألفان » ورمى ورقتين اخريين من ذوات المائة .

فتمتم مدير الواردات : « هذه مصارعة وليست مزايدة » .

وقال فخرى موجهاً كلامه لمتصرف اللواء : « أرجو أن تؤجل المزايدة يوماً واحداً لاتفاهم مع ماجد بك ، وربما اشتركت معه في هذه الارض فنحن جيران ، ومن مصلحة الادارة ان نتفاهم وتنتهي المشاكل بيننا فلا يقاوم بعضنا بعضاً » .

فقال المتصرف : « لك ذلك » .

فقال ماجد : « أنا لا اتفق مع فخرى آغا اتفاقاً يخل بمصلحة الخزينة، وتوقيف المزايدة فيه فائدة لنا لكن فيه ضرراً كبيراً للحكومة» .

فقال المتصرف : « لست حريصاً على مصلحة الخزينة أكثر منا واذا اردت المزايدة أكثر من هذا فموعدنا الجلسة القادمة » .

وتأبط الأغا ذراع ماجد قسراً ، وخرج به من القاعة ووراءهما زبالة ومضى يقول له : « أنا أعلم أنك تريد المزايدة لايجاد منفذ الى أرضك في النهروان ولكن لماذا لم تتفاهم معي قبل المزايدة ؟ لقد كان بوسعك أن تأخذ ما تريد من هذه الارض بسعر زهيد بل مجاناً لو بقي سعر الارض على حاله أي مائة دينار لمدة ست سنوات فانظر كيف تضررت وضررتني أيضاً بعملك » .

فقال ماجد : « لماذا تغالط ؟ فهل هو انا الذي رفض هذا التفاهم ، أو لم اطلبه منك في جلستنا الاولى ؟ » .

فقال زبالة : « لقد توهم الأغا أنك لا تستطيع أن تدفع اكثر من ٢٠ ديناراً للتأمينات » .

فقال الأغا : « بل قد علمت يا أبا حسن أن عمه مجدي باشا قد وضع كل املاكه تحت تصرفه » .

فبغت ماجد . ولكن زبالة وكزه بكوعه محذراً ، فعلم ماجد أنها مناورة أخرى من مناورات زبالة ورفاقه للضحك على ذقن الأغا واضعاف مقاومته .

والتفت اليه الاغا وقال : « وما هي شروطك يا ماجد بيك للتخلي عن المزايدة ؟ فقال ماجد : « أنت تعلم ما اريد . انى اريد منفذاً الى أرضي يخترق أرضك ، ولا تقل مساحته عن الاربعمائة مشارة على أن يكون ذلك مقابل قطعة مساوية من أرضنا المجاورة لك والتي حددتها

لنا المتصرفية » .

فقال فخرى أغا : « على الرأس والعين » .

ومر مدير المال فى تلك اللحظة بهما فقال له فخرى أغا : « لقد اتفقت أنا وماجد بيك يا أبا سعد » .

فتبسم الأخير وقال : « الحمد لله » .

- ٢٩ -

فى شهر نيسان ترتدى بغداد أكاليل من أزهار الليمون وتتعطر بشذاه المسكر ، ويمتلىء النهر بمياه دجلة الحمراء كما يمتلىء الجسم بدماء الصحة والعافية . وقد ينتفخ دجلة فى بعض الأحيان وتعلو مياهه حتى يهدد المدينة بالغرق ، ويكون النسيم رطباً منعشاً هفهافاً .

وليس فى بغداد فى مثل ذلك الوقت بقع أجمل من تلك المقاهى الصغيرة المنتشرة على طول ساحل النهر فى شارع أبى نؤاس ، تلك التي تشبه شرفا خضراء ممتدة على طوله .

فى واحدة من هذه الشرف جلس ماجد مع صديقه الدكتـــور حسام عصر يوم المزايدة ، ومضى ماجد يضحك رفيقه برواية أخبـار تلك المزايدة ومحاولات فخرى أغا التى تشبه محاولات الثعلب عندما يطبق عليه الشرك بأسلوبه الفكه . ثم خاضا فى شـــؤونهما الخاصة ، وتكلما عن زواجهما وكانت علامات الغبطة والانشراح مطبوعة عـــلى وجهيهما .

ولفت الدكتور نظر ماجد الى أعرابى كان يهرول فى شارع أبي نؤاس ، ويتلفت يميناً وشمالا وقـ بدت على وجهه أمارات قلقَ ولهفة .

فقال الدكتور : « هو زبالة ، ان وجهه ينذر بالشر . لقد صرت أتشاءم من مرآه » .

وصاح ماجد ينادي الاعرابي بأعلى صوته . فأسرع زبالة اليهما كمن وجد ضالته وهو يقول لاهثاً : « لقد بحثت عنكما في كل مكان حتى كدت ايأس . ان ما أحمل من اخبار ذو خطورة شديدة » .

فقال ماجد : « خير انشاء الله » .

فقال زبالة : « أنت تعلم بأني لم أترك المتصرفية في صباح هذا اليوم . ولكنك لا تعلم بأنني فعلت ذلك لاني لا اثق بفخرى أغا ، واعلم الشيء الكثير عن أساليبه المنحطة ، وأعرف من أخباره ما يجعلني لا اطمئن اليه . لقد دخلت على مدير المال بعد ساعتين من تلك المزايدة ، فأخبرني ساخراً بأن الارض قد احيلت على فخرى أغا لوحده بمبلغ ألفي دينار ، وقد أكملت المخابرات الرسمية التي تتطلب عادة شهراً فأكثر ، بمدة لا تزيد على ساعتين » .

فقال ماجد : « اذا صح ما تقول فقد سقطوا في الفخ ، فأن عملهم هذا مخالفة صريحة لنظام المزايدة ، وفيه غبن عظيم للخزينة ، وسأريك كيف أفضحهم . ان هذه هي فرصتنا للانتقام منهم ، انها بمثابة القبض على السارق متلبساً بجريمته » .

فانبسطت أسارير زبالة وقال : « هذا ما أتيت لأجله ، فأرنا همتك يا ماجد بيك ، ورد كيدهم الى نحورهم » .

وفي غداة ذلك اليوم قصد ماجد متصرفية اللواء ودخل على المتصرف رافع الرأس وقال له دون مقدمة : « سمعت أن الارض احيلت على فخرى أغا دون أن اكف يدى عن المزايدة فهل الامر صحيح ؟ » .

فبهت المتصرف وأجاب : « ولكن فخرى أغا قد ادعى بأنه تفاهم معك واقنعك بالانسحاب من المزايدة » .

فقال ماجد ساخراً : « وهل يكفى كلام خصمى في المزايدة لتقرير النتيجة ، وهل يعقل أن يكون الخصم وكيلا عنى ، وتقبل وكالته حتى ولو لم يكن لديه ما يسندها ؟ » . فتلعثم متصرف اللواء وقال : « أرجو أن تسوى هذا الخلاف بالحسني ، وسأحقق مطاليبك بدون احداث ضجة » .

فأجاب ماجد : « انى اريد أن احدث هذه الضجة لاري وزارة المالية كيف تقف الحكومة بصف الملاك الكبار ، وتداس مصالح الناس ومصالح الحكومة فى سبيلهم . وتذكر يا سعادة البك أنك لم تقصر فى عرقلة أعمالنا فى سبيلهم ، وهذه فرصتى لاظهار الحقائق سافرة ، وللدفاع عن نفسى وعن مصالح رفاقى . » . وخرج لا يلوى .

قدم ماجد على الفور عريضة الى وزير المالية يشرح له فيها أخبار تلك الخيانة الصريحة ، وقامت دوائر وزارة المالية وقعدت عند الاطلاع عليها ، وعللتها بوجود الرشوة وسيطاً فى الامر ، كما أنها طلبت من متصرف اللواء ايضاحاً ...

وحدثت ضجة كبيرة فى المتصرفية وبدأ الرؤساء يتنصلون ، كما هى عادتهم ، فالقى المدير المسؤولية على الصغير وحاول الرئيس ان يتهم المرؤوس ، وبقيت التهم تدور والحقائق تثور ، حتى تجمعت الزوبعة

فوق رأس موظف صغير في تلك الدوائر فتقرر فصله من منصبه ، واحيلت الارض على ماجد بالسعر الاخير ، وأتى فخرى اغا وقد اسقط في يده ، وطلب من ماجد أن يتفاهم معه ، وسلم بكل شروطه ، مقدماً فقد كانت تلك الارض ضرورية له يكمل بها مزرعة من مزارعه الواسعة ، اذ قد نصب مضخات كبيرة لغرض اسقائها ، ولا يكمل ذلك بدون هذه القطعة ، وتشاور ماجد وزبالة وقررا أن يأخذا ممراً من تلك الارض مجاناً ويعطيا الباقى الى فخرى أغا وكفاه عقوبة خسارته عوض المجرى وتحمله ذلك السعر الفاحش .

- ٣٠ -

قالت هيفاء لسنية : « يستحق ماجد أن يكافأ على انتصاره الاخير في الجولة الاخيرة . لقد صرع فخرى آغا وأعطى الدوائر المستهترة بواجباتها درساً سيبقى في ذاكرة موظفيها مدة طويلة » .

فقال الدكتور : « ألا استحق أنا أيضا مكافأة ؟ وهل نسيت انـــه لو لاى لما عاد البطل الى العمل ؟ » .

فأجابت هيفاء « بل لولا الاستاذة لما عاد الى العمل بمثل هذه القوة وهذا النشاط ، ومع هذا فسننظر في أمر مكافأتك أنت أيضاً ، قبل ان تاكل الغيرة قلبك » .

فقالت سنية ضاحكة : « وماذا تقترحون أن تكون هذه المكافأة ؟» .

وهنا انبرى ماجد فقال : « أنت محورها أيتها الاستاذة فهى بيدك» .

فقالت سنية : « قل ما تريد بصراحة اذ يظهر انك قد دبرت مـع الدكتورة مؤامرة علي » .

فأجاب حسام : « اذا كنت تحسبين المطالبة بتنفيذ الوعود مؤامرة ، فهي مؤامرة ، انى اشعر أيتها الاستاذة أنك أرقى عن أن تخضعي لقيود الزواج وشروطه ، وقد قبلت خطبتى كما تعلمين ، فاذا كنت جادة فلماذا لا نسرع بالزواج اذ اخشى ان تفلتى من يدى ؟ » .

فضحكت سنية وقالت « ان الرقي لا يتنافى مع الزواج ، وانا لا ارى في الزواج قيدا ، وما يشترط علي سيشترط عليك ، وانت تعلم انى موظفة ، ولا اخالك تطلب منى ان اترك التدريس لاخدم فى دارك ولا تخش ان افلت من يدك ، فقد قبلتك مختارة ، ولست انت أول خاطب ولكنك ستكون الاخير . ولو كنت راغبة عنك لاخترت غيرك قبلك ، فانا حرة فى اختيار من أريد ، وكل ما أريد منك مساواة تامة فى حقوق الزوجية ، حتى فيما يخص حق الطلاق . ولا اخالك ترفض ذلك ، فانا لست أقل شأنا منك فى الحياة الاجتماعية ، ولست أقوى مني اقتصادياً » .

فقال ماجد : « أقبل كل ما تريدين رغم انى أخشى من المساواة فى الطلاق ، فلست أدرى متى تسأمينني وتقررين ان تتزوجي غيرى » .

فقهقهت سنية وأجابته : « تلك أوهامكم معشر الرجال ، فأنتم الذين تملون ، وخصوصاً اذا انعدمت شخصية المرأة أمامكم ، ان هذه المساواة كفيلة بأن تجعلكم تشعرون بقيمة شريكتكم فى الحياة ، فتحرصون على الاحتفاظ بما فى ايديكم » .

وأضافت هيفاء : «هذا من حق كل امرأة ، وسأحذو حذو الاستاذة أنا أيضاً ، فأقطع بذلك لسان هذا الدكتور الوقح، اذا ما أراد ان يتطاول علي بالكلام أو يسخر منى كعادته » .

فقال الدكتور : « يا للمصيبة ، لقد أردنا الاستاذة عوناً فأصبحت فرعوناً ، ولا مفر من قبول هذه المصائب ، فمتى قررتما أيتها الانستان

أن تصحبا سيدتين ؟ ان الاسراع يا ماجد كفيل بأن يخفف عن عبء شروطهما ان أخشى أن تبتكرا فى كل يوم شرطا جديدا » .

فقالت سنية : « لا مانع عندى بأن يتم الزواج غدا ، ولو لم يكن وقت الدوام فى المحكمة الشرعية قد انتهى لجعلته اليوم » .

فحملق الدكتور فى وجهها وقال : « أتعنين اننا نتزوج هناك أمام القاضى بدون دعوة أو اعلان أو احتفال ؟ » .

فأجابت سنية : « او لا ترضى ان نخفف عنكما عبء المصاريف التى لا فائدة منها ؟ فننقذ جيبكما من اغارة الاصدقاء الذين ستدعونهما ليأكلوا ويشربوا ويقلقوا الجيران بالضجيج والعجيج ، ويخرجوا وكل منهم يبدى من الآراء فينا ، والانتقاد لارائنا واعمالنا ما يزعجنا مدة طويلة ؟ أنى أفضل أن اقضى أسبوعا فى المزرعة فى مثل هذا الموسم على كل ما تحب احداثه من ضجة » .

وقالت هيفاء : « ها أنت ترى أيها الدكتور أن الامر قد أصبح فى صالحك ، والا لخسرت مبلغاً كبيرا اذ لست ممن يرضون بالنزر اليسير » .

وقال ماجد « اذا أردت ضجيجا فان الفلاحين سيحدثون منه ما يكفيك في الاسبوع القادم ، فان سليم سيتزوج فى هذا الاسبوع » .

فقالت سنية اذاً فاستعدوا للذهاب الى المحكمة غداً وسيكون ابن عمي حميد معنا ليكمل الشهود وسيكون بعضنا شهودا على البعض » .

وبكر الاربعة وخامسهم ذاهبين الى المحكمة غداة ذلك اليـــوم ، وملأ ماجد الاستمارات المخصصة لعقدى الزواج ، وسجل العقــدان بشروطهما فى سجل المحكمة ، ثم دخلوا على القاضى يصحبهم كاتب معمم فقال للقاضى مبتسماً : « يريد السادة ان يتزوجوا » .

فنظر القاضى فى أوجههم مستغرباً وقال : « كلكم ؟ » .

فأجاب الدكتور : « كل اثنين منا يا صاحب الفضيلة عدا هذا السيد فقد أتينا به شاهداً ، وانت ترى ان هنا سيدتين فقط » .

فتبسم القاضى ومضى يقرأ صيغة العقدين ثم توقف ، ونظر اليهم متفحصاً وقال : « هذا الزواج هو الاول من نوعه ، وأرى أنكم ستسعدون فالشروط تدل على عقل وحكمة ، ثم طلب منهم التوقيع أزواجاً وشهودا ثم أعلن أنهم قد أصبحوا زوجين وزوجتين » .

فقال الدكتور : «لقد انتهى الامر ، ولم يستغرق من الوقت ما يتطلبه تقديم عريضة » .

فقال القاضى متباهياً : « الاسلام عصرى ابداً ، يسهل أمور الزواج ويقبل كل الشروط التى تقتضيها الحضارة المتطورة ، وها أنتم ترون انه قد ساعدكم على أن تتزوجوا زواجاً عصرياً » .

وخرجوا من المحكمة والدكتور يتمتم : « تالله انى لا اشعر بأنى قد أصبحت زوجاً رغم فلسفة هذا القاضى » .

فقال ماجد : « اظنك ستشعر بذلك فى المزرعة خلال الاسبوع القادم » .

نصبت الخيمتان وسط سهل أخضر قد ذوى بعض زرعه . وشاع بين الفلاحين ان اسيادهم قد تزوجوا حديثا ، فصار الزوجان يتلقيان التهانى من الفلاحين حيث يلتقيان بهم .

وزار الفلاح خلف ذو الزوجات والاولاد ماجدا في خيمتـــه لتهنئته ، فقال وهو يبتسم عن لثته الدراء :« مبارك يابيك هذه هي الزوجة الاولى ، وارجو ان تثني يوم يمتلىء كيسك بالمال » .

فقالت سنية ضاحكة : « اسمع يا خلف لو فعل لطلقته » .

فتطلع الفلاح فى وجه ماجد وتساءل : «اتعنى ماتقول حقا يابيك؟ »

فقال ماجد ضاحكا : « اجل » ولهذا فلست استطيع ان أثني واثلث مع الاسف » .

فمضى الفلاح يتمتم مستغربا : «كيف يصح هذا ؟ تالله ان عـالم الافندية عالم غريب» .

وحل يوم زفاف سليم ، فأعلن العريس الدعوة للاحتفال بقطعـة ملونة من الحرير عقدت على عصى فأخذت ترفرف كالعلم فوق كوخه ، ودعى سليم اسياده الى الحفل بنفسه فلبوا الدعوة جميعا .

وكانت سنية اكثر الجميع سرورا بذلك الاحتفال فقد أخـــذت

تتنقل بين النساء ، وانطلقت تسأل منهن وتستفهم عن اشياء كثـيرة ، فعلمت ان المرأة تعمل مع بعلها او ابيها فى الحقل يدا بيد وانها تتقـن اساليب الزراعة كما يتقنها .

وسألت احداهن عن شعورها عندما تزوج زوجها بأمراة أخـرى فأجابت : « لقد فرحت اذ اصبح لى شريك يعينني على أعمـال الحقـل والدار ، وهي كثيرة ، مضنية . ان الضرة وما تنجبه من اولاد تـزيد اليد العاملة فيزداد الرفاه » .

فقالت سنية لهيفاء شارحة : «هذا شأن مجتمع الزراعة الابتدائى ، ومن هنا تولدت عادة تعدد الزوجات واستخدام العبيد ، ولو تقدمت الزراعة واستعملت الآلات العصرية لارتقي الفلاح حتما ، ودخل دورا جديدا لاأثر فيه لتلكم العادات والتقاليد البالية ».

وكان زبالة اكثر الجميع سرورا بمشاركة اصحابه باحتفالهـم الشعبى واهتمامهم باستطلاع احوال الفلاحين .

وانطلقت السنة الفلاحين ، فمضوا يتحدثون متباهين بما شاع عن الشركاء في تلك الناحية من اخبار انتصـارات . ومضى زبالة يقص على فلاحيه مزهوا كيف أنتقموا من فخرى اغا ، وكالوا له الصـاع صـاعين .

وقال الشيخ حسين : « ارى أن الخواتين قد سررن بالحديث مع زوجاتنا الاميات » .

فأجابت سنية :«وأي فرق بيننا وبينهن ، انهن يعملن معكم ونحن نعمل مع ازواجنا ايضا ، وكل ما هنالك اننا قد وجدنا فرصة للتعلم لـــم يجدنها هن فتولد بيننا هذا الاختلاف الذي تراه » .

وقرع الطبل ، ونهض الرجال والنساء للرقص (الجوبي) وتكونت الحلقة بسرعة عجيبة ،وشرع الرجال والنساء في رقصتهم الايقـاعية ، وكانت سنية تراقب ارجلهم بدقة فقالت لها هيفاء : « لااظنك ستشاركينهم في (الجوبي) » .

فاجابت سنية : « ولماذا لا ؟ اني اريد ان اتقن حركتهم أولا :وهتف الدكتور : «تالله انك لامرأة عظيمة ، فأني لااستطيع ان اضبط قدمي وأنا أسمع قرع الطبل ، وسنرى كيف يرقص الاستاذ ماجد» .

فقالت الدكتورة :« اما أنا فلا اظنني اشاركم » .

فقالت سنية :« ستخسرين ، انك لاتعلمين لذة الرقص المشترك . ان هؤلاء القوم رغم معيشتهم الشبيهة بالبدائية قد استكملوا كل شرائط الحياة بطريقتهم البدائية والرقص من أهم مقومات الحياة اما نحن أبناء المدن والمتعلمين بصورة خاصة ، فقد تركنا هذه الناحية بتاتا ؛ مترفعين عن القديم ، غير مقتبسين شيئا من الجديد للتعويض» .

وسرعان مانهضت سنية فنهض الباقون معها على الاثر . ولما علـم الفلاحون بأن البيكات سيشاركونهم في الرقص شاع السرور والحماس في نفوسهم وهتفوا مرحين ، وسرعان ما اتقنت الارجل الجديدة ،تلك

الخطوات الايقاعية على صوت الطبل والمزمار وتطلعت سنية الى هيفاء فرأت وجهها قد اصطبغ بحمرة السرور والانتعاش .

وانتهت الرقصة . فقال ماجد لرفاقه :« لقد علمت ان أحد الفلاحين قد نظم ملحمة يصف بها المعارك بيننا وبين جيراننا ، وكيف انتصرنا عليهم ، بلغة عامية وبأسلوب فنى ساخر ، فهل يروقكم ان تسمعوها؟» .

فقفز الدكتور مسرورا وقال : « اسرعوا به بالله ، فلشدما اتوق الى سماع من يضحك منا من هؤلاء الفلاحين» .

وبدأ الفلاح يلقى مقطوعته غيبا منظومة نظما موزونا بلغته الخاصة ، وكانت المنظومة رائعة لايعوزها فن ، وصفقت سنية له عدة مرات وقالت معلقة :« هاتونى شاعرا من ابناء المدن ينظم نظما فنيا رائعا كما يفعل هذا . انتبهوا جيدا الى روعة الفن وبراعة النكتة وانسجام المعانى . من هنا تعلمون كيف خلد شعر العرب الجاهلى » .

ولما عاد الرفاق الى خيمتهم مساءا قالت سنية للدكتور :«أرجو ان تكون قد تأكدت بأنك قد تزوجت» .

فأجاب :« اجل ولكن على طريقة الفلاحين» .

قال الدكتور لرفاقه ، بعد ان تنفس تنفسا عميقا ، وملأ صدره بهواء الصباح العليل :« ما اسوأ حظ هذا الزرع المسكين ، لولا رحمة الله لهلك كله . لقد انعشته تلك المزنة فأعادت لبعضه الحياة» .

فقالت دكتورته :« دع الزرع وشأنه وتغن بجمال الطبيعة ، وجودة المناخ ، ونقاء الهواء » .

فأجابها : « طبعا ايتها الدكتورة لكي تبرئي ساحة محاميك العظيم . ان كل ماتذكرين لايساوي عشر معشار ماخسرنا من مال» .

فقالت سنية : وما تفعل بالمال ؟ انك كنت قد ادخرته لتتزوج به فتولم الولائم ، وتبني منزلا لارضاء دكتورتك .اما وقد رضيت الدكتورة بزواج بدون احتفال ، وعرس بدون زفاف ، وبخيمة بدل القصر ، فلا حق لك في الشكوى » .

فأجاب حسام وهو يصطنع لهجة التهديد :« ايتها الاستاذة سأشي بك ، واطلق وراءك جواسيس التحقيقات الجنائية كما تطلق السلاقي وراء أرنب ، وأتهمك بأنك قد حولت ثلاثة من المواطنين الصالحين الى فوضويين شيوعيين هدامين يفضلون الخيمة على القصر ، و (الجوبي)على (الكونكا) ، ومعاشرة القرويين الحفاة الامين على أشراف بغداد المتأنقين

وشبانها الظرفاء المفلسين!».

فانفجر ماجد ضاحكا وقال: «يالها من دلائل خير لك يادكتور أن تتذكر بانك طبيب قبل كل شيء، وان عليك واجبا انسانيا تجاه هؤلاء الفلاحين؟ الم تر عيونهم المتورمة وبطونهم المتنفخة؟».

فقال حسام: «لم آت الى هنا لمعالجة الفلاحين بل لمعالجة دكتورتي فبعد ان كانت تكثر من تهديدي بأبرها السامة، وجراثيمها التي تعد بالملايين صرت أنا..»

ولم يستطع ان ينهي كلامه فقد رفعت هيفاء كتلة كبيرة من الطين الهش واهوت بها على رأسه وهي تزمجر: «اذا كان الزواج قد أطلق لسانك، وعلمك قلة الحياء، فخير لك أن تبقى اعزب واذا عدت الى مثلها فسأهشم رأسك بصخرة بدل الطين».

وأمسك ماجد وسنية بطنيهما من شدة الضحك، ومضى الدكتور ينظف شعره من الطين وهو يقول: «اشهد عليها ايها الاستاذ. لقد اعتدت على وهددتني بالقتل».

ولمح الرفاق زبالة مقبلا من بعيد، وبيده عصاه الطويلة، وهو حافي القدمين، ولما اقترب منهما قال ضاحكا: «انكم تقتتلون».

فقال ماجد: «بل نمزح يا أبا حسن».

فقال زبالة «لقد تعلمتم كل شيء على طريقتنا، حتى ما يتعلق بالمداعبة والمزاح».

فقال حسام: «أرأيت يا أبا حسن كيف كسرت عروسي رأسي

بصخرة ، فما انت فاعل لو ضربتك امرأتك؟» •

فأجاب زبالة :« لقد كسرت أم حسن يد المسحاة مرة على رأسي ، وضربتها مرة أخرى ضربة كادت تفقدها الحياة ، فنحن متساويان كما تريدون أن نكون » •

فقال حسام وهو يبحث بعينيه عن طينة هشة :« اذن فسأساوي مع الدكتورة» •

فقال زبالة ضاحكا :«اعف عنها هذه المرة كرامة لخاطري»

فقال زبالة : اذن صحيح ما يتناقله الفلاحون هنا بان زوجات الافندية هن اللواتي يطلقن أزواجهن ، وان الأفندي لا يستطيع أن يتزوج بأكثر من امرأة واحدة؟» •

فقال ماجد :«كل هذا صحيح ، وأرجو ان لاتبالغوا كما هي عادتكم ، فتدعون ان زوجات الافندية يستطعن ان يعددن الازواج بدلا من أن يعدد الرجال الزوجات» •

فأجاب زبالة : « اطمئن فهم يعلمون ان ذلك حرام في الاسلام» •

ثم التفت الى الزرع وبعد ان أجال نظره فيه قال لماجد :« لقد نجا قسم كبير من زرعنا ، ومادمنا بحاجة الى الدراهم ففي استطاعتنا أن نبيع منتوج الشعير سلفا لتاجر من تجار الحبوب• ونأخذ منه أغلب الثمن مقدما فنستعين به على زرع الموسم الصيفي» •

فقال ماجد : « انا لاأعرف شيئا عن اصولكم المتبعة فى أمثال هذا البيع وهذا الشراء ، فدبر الامر أنت وخبرني بعد أن تنتهي من

مساوماتك لاعقد الصفقة» •

فقال زبالة :« لقد دبرتها ، وما عليك الا ان تذهب الى عبدالجبار تاجر الشعير المشهور لتوقع على ورقة البيع وتستلم الدراهم » •

فقال الدكتور :« وكم قدرت محصول هذا الزرع؟»

فأجاب زبالة انى أقدره بثلاثمائة طن ، وقد بعنا مائة وخمسين طنا احتياطيا للطوارىء ، اذ قد يكون تقديرنا فى غير محله ، أو أن الناتج ضعيف وبهذا نؤمن تسديد الكمية التي بعناها حتما» •

حل موسم الحصاد ، وكان قد حل قبله موسم الجراد ، فاكتسح مزارع المناطق الشمالية اكتساحا ،وانهالت الاستغاثات على العاصمة من كل حدب وصوب ، وبدأت مديرية الزراعة بالمكافحة بعد فوات الوقت كالعادة ، وتكلمت الجرائد كثيرا ، وتكلم النواب في مجلسهم كثيرا! وصرح نائب من مزارعي الشمال وهو مغضب ، قائلا : « ان الجراد الحقيقي هم موظفو مكافحة الجراد ، بل هم اعظم خطرا من الجراد لانهم لا يبدأون بالعمل الا بعد فوات الفرصة ، فضلا عن انهم بسرقتهم مواد المكافحة يعينون الجراد على التكاثر ، وما دامت معيشتهم على الجراد فلتبشر الامة بتكاثره .وتهيأ ماجد ورفاقه لمكافحته فيما لو غزاهم وأخذوا يترقبون اغارته ، ويعدون له العدة واقترح الدكتور أن يكافح بدخان النفط لانه سيغزوهم طائرا لازاحفا ، اذ لامجال للزاحف أن يصل اليهم ، يعترض طريقه نهرا دجلة وديالى ، وهو لو أتى طائرا فسوف لايؤذي الغلة الشتوية التي هي في دور الحصاد ، بل سيأكل المحاصيل الصيفية أي الخضروات ، وكانوا قد زرعوا منها كميات كبيرة لتعويض خسارتهم .

وأبان زبالة بدلائله الريفية البسيطة ، بان الجراد سوف لايغزوهم وأضاف :« لولا أن الجراد الحكومي ، اى مدير الناحية ، لم يقتل تلك الكمية الكبيرة من منتوج الحنطة ، لكان محصولهم رائعا ، ولكان

ربحهم جزيلا ، فضلا عن أن الجراد سيرفع قيمة اسعار الحبوب ، ويوصلها الى درجة عظيمة .

واظهر ندما على بيع الشعير مقدما ، وقال : « لو استدنا مانحن بحاجة اليه بربا خمسة بالمائة فى الشهر ، ولم نبع شعيرنا بهذا السعر الزهيد لخرجنا من هذه الصفقة رابحين» .

وتم الحصاد . وانهمك الفلاحون نساءا ورجالا واطفالا بالنقل والدوس والتصفية ، وتراكمت اكوام الشعير والحنطة معدة للقسمة ، وطلب الشركاء ماجدا ليشرف بنفسه على هذه القسمة وارسل تاجر الشعير وكلاءه وعماله لاستلام ما اشتراه .

وبدأ الكيل ،واذا بالحنطة قليلة لاتكفى الفلاح قوت أربعة اشهر ووقف ماجد امام اولئك الفلاحين الذين عملوا طيلة السنة حائرا ، وعلم أنه لو استوفى مابذمتهم من الدين او أخذ حصته من هذا المحصول لماتهم جوعا ورأى زبالة حيرته ، فهمس فى أذنه : « ان هذه الساعة هي الفاصلة ، فضح بالفلاح وانقذ المزرعة » .

فقال ماجد : « ان الفلاح هو روح المزرعة ، ولو فعلت ماتشير به لضحيت بضميرى وبالمزرعة معا» .

فتجهم وجه زبالة وقال :«انى اتنصل من مسؤولية ماتريد ان تصنع» .

واعلن ماجد للفلاحين قراره الاخير فيما يتعلق بمحصول الحنطة فقال انه يعفيهم من كل مافي اعناقهم له ، ويتخلى عن حصته من ذلك

المحصول ليقتاتوا به ، فالتمعت عيون الفلاحين بشرا وهتفوا له عاليا ، وأعلنوا بأنهم مدينون له حتى الموت • وقال زبالة :« لابأس فيما فعلت ولو انك ستعلم اخيرا مقدار ماوقعت فيه من خطأ • ولكن لى عندك رجاء آخر لعله ينقذ الموقف وهو أن تبيع الشعير بسعره الحالى وترد دراهم التاجر اليه ، فقد بعناه قبل ثلاثة أشهر بسعر اثنى عشر دينارا للطن الواحد وقد بلغ سعر الطن الآن ثلاثين دينارا والفرق وحده يكفى لتسديد اغلب ديوننا ، وليس للتاجر حق قانونى علينا ؟ونستطيع ان نعتذر له بأننا لم نحصد شعيرا هذه السنة أذ انه قد تلف عند قطع الماء عنه» •

فأجاب ماجد محتدا :«انك تريد ان نكذب ونخدع ونغش فى سبيل السرقة • انى لااستطيع ان انحط الى هذه الدركة أيها السيد زبالة ، وليس معنى الاشتغال بالزراعة ان يتخلى الانسان عن كل الصفات الخلقية الحسنة فى سبيل الدرهم والدينار ».

فقال زبالة :« انك لازلت فجا ايها السيد ، وليست هذه هى المرة الاولى التى أبديت فيها قلة خبرة في الحياة العملية ، ولكنها ستكون الاخيرة المفجعة • وسترى ان هؤلاء الذين تريد ان تعاملهم بمنتهى الشرف واقفون لك بالمرصاد ليعاملوك بمنتهى النذالة ، وسترى انهم لا يرحمونك اذا وجدوا منك تقصيرا ، حتى ولو لم يكن لك ذنب فيه»•

فأجابه ماجد : « لايهمنى ان يكونوا انذالا مادمت مؤمنا بأنى رجل شريف ».

اختنق النهار ، وضاقت انفاس الناس ، وبدت الشمس مصفـرة شاحبة وراء طبقات الغبار الكثيفة حتى تحجبت بها اخيرا ، وبدأت الريح تعوى تارة ، وتئن اخرى ، مالئة العيون والانوف والافواه بذرات الغبار الدقيقة ؛ نافذة الى ادق المسالك ،ولم ينج منها لاغني فى قصره المنيـــع ولافقير فى كوخه الوضيع .

كان ذلك اليوم من اواخر حزيران ، وكانت تلك الزوبعة الترابية لاتشبه سابقاتها ، فقد أطبقت على صدور الناس كالكابوس الخانق ، واستمرت ، والحت في الاستمرار حتى دامت عدة أيام والتجأ ماجـد الى عيادة الدكتور حسام فى عصر يوم من ايام اشتدادها .

وقال لصديقه وهو يلهث :« قل لى بربك الم يخترع الطـب او العلم الحديث ماينجى الانسان من شر هذه الزوابع الترابية المهلكه؟»

فقال الدكتور « ان التاريخ ، وانت اعلم مني به ، ينبيك بانها لم تكن موجودة فى عصر أجدادنا اى يوم كانت هذه الصحاوى التى تملأ انحاء العراق الآن وتمتد حتى جوانبه البعيدة ، خضـــراء يانعـــة بالزروع والبساتين ، ولنا أن تستنتج من ذلك ان الجو نفسه كان اكثر لطافـــة واليق للحياة الصحية » .

وقال ماجد :« اتعلم ان هذا الهواء اللافح بما يحمل من ذرات تراب كاوية يهلك بساتين المخضرات ومزارعها كما يهلك الانسان؟» .

فأجاب الدكتور « وكيف لاأعلم . انه يحرق الاوراق بعد ان يسحب الرطوبة منها ويحولها هشيما . وهو ان كان قادرا على الفتك بالانسان وهو الاقوى ، فما تراه يصنع بالنبات وهو الاضعف ؟ وبهذه المناسبة علينا ان نتهيأ لاستقبال نكبة جديدة تحل بمزرعتنا السيئة الحظ المنكوبة مرارا » .

فقال ماجد : « انى أتوقع قدوم سليم ، وقد طلبت منه أن يأتي الى هنا رأساً ليخبرنى بمقدار محصول الشعير الذى سدد للتاجر ، وسنسأله عن حال المخضرات » .

واتى سليم بعد نصف ساعة ، واستقبله الصديقان ، وسأله الدكتور بعد جلوسه مباشرة : « كيف حال الزرع ؟ » .

فأجاب سليم متجهماً : « ان منظره ومنظر الفلاحين يفتت الأكباد ، فقد هلك الزرع بأجمعه . ان النكبة هذه المرة من الله لا من البشر » .

فقال ماجد : « اجل ، ما اسهل ان نضع كل شيء في عنق الله » .

والتفت سليم الى ماجد متسائلا : « كم بلغت واردات هذه المخضرات حتى الآن ؟ » .

فأجاب ماجد « ألف وخمسمائة دينار بمدة عشرة أيام فقط هذا ما عرفته من قوائم البياع التى تصل الي يومياً » .

فقال سليم : « لو لم تهلك مزروعاتنا بهذه الزوبعة لاستمرت مدة شهرين اذ هذا هو عمر البطيخ الطبيعي ، ومن ذلك تعلم مقدار خسارتنا الفادحة » .

والتفت ماجد الى سليم وسأله : « وما حال حاصل الشعير ؟ » .

فأجاب : « كل ما بقي عندنا بعد ان استلم الفلاح حصته هو خمسون طناً ، سلمت لوكيل التاجر ، وليس لدينا غيرها ، ومعنى هذا أننا مدينون له بمقدار مائة طن . وقد ارتفع ثمن الشعير في الآونة الاخيرة ارتفاعاً ما كان يحلم به أحد » .

فقال الدكتور : « لقد سمحت الحكومة بتصديره هذه السنة فقل في العراق وزاد الطلب عليه ، وأرى أن الجراد والحكومة معاً ستعرضان هذا القطر الى مجاعة رهيبة » .

فاجاب ماجد : « الحكومة أولا وآخراً أيها الدكتور ، فلولاها لما غزانا الجراد ايضاً » .

والتفت ماجد الى سليم وقال : « وكيف قدرتم الكمية أولا بحيث تورطنا في بيع هذا المقدار الكبير مقدماً من الشعير ؟ » .

فاجاب سليم : « لقد كانت المزرعة توحي حقاً للناظر بعظم كمية الحاصل ، ولم ندر ان انقطاع الماء في تلك الفترة قد احدث مثل هذا الاثر السيء في الزرع » .

وسأل الدكتور ماجداً : « ولكن ماذا سيفعل هذا التاجر لتسوية حسابه ؟ » .

فأجاب ماجد : « وسأتفاوض معه على تسوية الامر بالحسنى ولعله يقبل منا ربحاً معقولا » .

فقال سليم : « ستلقى منه عنتاً ، وسترى أن رأي زباله فيه وفي امثاله صحيح » .

قصد ماجد تاجر الشعير عبدالجبار المالك في محل عمله ، فتلقاه الأخير بشباشة ، وكان المحل غاصاً بالمزارعين وبتجار الشعير وغيره من الحبوب وبعدد كبير من الدلالين المثرثرين ، وكان الحديث يدور على تقصير الفلاحين في دفع ما باعوه سلفاً ، وامتناع بعضهم عن الدفع بصورة باتة .

وكان ماجد يتطلع في وجه عبدالجبار العابس ويمعن النظر في ملامحه الدقيقة ، ويديه المعروقتين اللتين ذكرتاه بيدى ملاك الموت في بعض الصور ، حاملا منجل حصاده . كانت مقابلة ماجد لذلك التاجر هي الأولى ، فقد تمت صفقة البيع قبلا بواسطة أحد وكلاء التاجر الجالسين وراء مناضدهم ، وأمامهم أكوام الدفاتر والأوراق .

وبدأ التاجر العظيم يتظلم لماجد ، ويشكو امتناع اغلب الفلاحين والملاك عن تسديد ما باعوه مقدماً ، واصرار بعضهم على ارجاع الثمن أو صفقة البيع . فقال : « من كان يظن أن اسعار الشعير سترتفع هذا الارتفاع الغريب ؟ لقد اشتريت من الفلاحين سلفاً بسعر الطن ١٢ ديناراً ، وهو السعر الرائج حينذاك ، وليت السعر بقى على حاله فانت تعلم بأني تاجر اشترى من الفلاح وابيع الى الخارج ، وقد بعت اغلب الكميات التى اشتريتها سلفا ، وها انذا عاجز عن الدفع ، فان الفلاح لما رأى اسعار الشعير تتضاعف مرتين ، امتنع عن التسليم وباع شعيره بدلا من أن

يسلمه لى . وتأكد يا ماجد بيك بأنك من القلائل الذين دفعوا ما بذمتهم » .

وهنا التفت الوكيل الذى عقد صفقة البيع فقال : « لقد استلمنا من ماجد بيك خمسين طنا فقط ولا زال عليه ان يدفع مائة طن » .

فقال ماجد : « لهذا أتيت . وأرجو ان تعلم مقدما ان الكمية التى دفعت لك هى كل ما نتج من مزرعتنا ، بل وأننا اشترينا قسماً من حصة الفلاحين وأضفناها اليها ، ولم نبق حتى ما يلزمنا للبذار في السنة القادمة » .

وتبدلت ملامح التاجر بسرعة غريبة فأكفهر وجهه النحيل الذى يشبه وجه جرذ ، وزاد انحناء ظهره ، ونظر الى ماجد من وراء نظارتيه وقال : « أرجو المعذرة اذا ما ألحفنا فى الطلب ، وقد أخبرتك بأننا قد بعنا ما اشتريناه الى تجار آخرين » .

فقال ماجد : « ان صيغة البيع تجبرنى على أن اعطيك ما عندى ، ولا أبيع لغيرك ، وأنت موقن بأننا لم نبع شيئاً من هذا الشعير لسواك » .

فأجاب التاجر : « انى مجبر على معاملتك معاملة قانونية ياماجد بيك ، والاتفاق الذى بيننا يخولنى حق شراء الشعير من السوق اذا عجزتم عن الدفع ، وتحميلكم فرق السعر » .

فأجاب ماجد : « هذا فى حالة المخالفة ، ولكننا لم نخالف ، كما ان القانون الزراعى يعفى المزارع الذى يبيع سلفا من التغريم ولا يلزمه الا بارجاع الثمن اذا اصابت زرعه آفة ، ولا يكون للمشترى الحق فى

غير استرجاع المبلغ المدفوع سلفاً ، ونحن قد سلمناك شعيراً قيمته تساوى السلفة التى أخذناها منك فالانصاف يقضى باكتفائك بما أخذت وقد ربحت بهذا الشعير أضعافاً » .

فقال التاجر : « اذا أردت القانون فتذكر أننا استلمنا الشعير دون أن ندفع لكم ايصالات بما استلمنا ، فاذا أصررت من ناحيتك على عدم دفع الباقي أو عدم دفع الفرق ففى استطاعتى مطالبتكم بكل المبلغ المدفوع باعتبار أنكم لم تسلموا شيئاً » .

وانتفض ماجد مرتاعا وقال :« تالله ماكنت أعلم انكم محتالون سارقون ، وانى آسف لانى لم اعاملك كما يعاملك بقية الملاك اذ لست من طينة امثالك . أما وقد ابرزت مخالبك فاعلم بان حيلك ستعود بالوبال عليك» . وخرج لايلوى. فتمتم التاجر وراءه وهو ضاحك: « سنرى على من يعود الوبال ايها السيد المغفل» .

- ٣٦ -

اجتمع الشركاء في مكتب الاستاذ ماجد رحيم عصر يوم من ايام ايلول . وكانوا في حالة توتر وارهاق ، وعلى وجوههم غبرة ترهقها قسرة .

وافتتح ماجد الحديث فقال: «تشير نتيجة الحسابات الى اننا قد أخفقنا أخفاقا مريعا في مشروعنا هذا ،واننا قد أضعنا كل ماصرفناه عليه ونحن زيادة على ذلك مدينون بأربعة الاف دينار للبياع وبمبلغ لانعلم مقداره بالضبط لتاجر الشعير ، اذ ان ذلك يتوقف على نتيجة الدعوى التي رفعها علينا . وقد هرب اغلب فلاحينا بالسلف التي في ذممهم، مغتنمين فرصة خلافنا مع مدير الناحية ، وقد شجعهم المدير سرا على ذلك ليكسبهم في صفة فيما لو نكثنا بعهدنا ولم نسقط الدعوى التي اقمناها عليه ، وعلاوة على ذلك فان لجنة تقدير منتوج الحنطة قد فرضت علينا عشرة أطنان للتموين العام لانملك منها حبة واحدة ،واذا ما اشترينا من السوق فاننا سنخسر بها مبلغا طائلا . وعمال المكائن يطالبون بالمتراكم من اجورهم . والمكائن بحاجة الى وقود ، فمن هذا أرى اننا مهددون بكارثة» .

فقال زبالة : «دعني القي اللوم عليك يا أستاذ فانت الذي أصررت على معاملة تاجر الشعير بشرف ، وها قد رأيت النتيجة بنفسك ، وانت الذي أعفيت الفلاحين من أثمان بذور الحنطة ، وها هم قد أنقلبوا علينا واعتبروا هذا العطف منا ضعفا ، وأنت الذي اصررت على احتقار مدير

الناحية أول الأمر واهماله حتى أصبح من أعدائنا ، ثم الجائه بمماطلتك في اسقاط الدعوى الى أن يركب هذا المركب الوعر ، ويشجع الفلاحين على الهرب» •

وقال الشيخ حسين :« الحقيقة ايها الافندية انكم اناس غير عمليين فيما يتعلق بالزراعة ، ويصعب عليكم الاستمرار معنا على العمل وانتم محتفظون باسلوبكم الخاص في التفكير والعمل » • وهنا انبــرى سليم وقال لزبالة مكفهرا : «انك نسيت يا أبا حسن ، وانت يا أبا حسين حين كلتما اللوم للاستاذ ماجد بأنه لولاه لما سميت الآن ملاكا في النهـروان، ولكنها طريقتكم ايها الاعراب القليلو العقل فأنتم تتبعون القوى دائما ، وتخضعون لسوطه • فأنت مسؤول يازبالة عن الاكاذيب التي افتضحت اخيرا ، فقد اشعت بأن السادة شركاءنا بيكوات متنفذون، فلما وقفت الحكومة أمامهم موقف المستضعف ، اكتشف الفلاحون كذب ادعائـك والفلاح لايخاف غير القوة والنفوذ ولايمكن السيطرة عليه بغير الشرطي والسجن ، فالذنب ذنب الفلاح المنحط الذي يخاف المسيء ويحتقـر المحسن ولاعيب على ماجد بيك ان يكون رقيق الشعور كثير العطف »•

وقال الدكتور بلهجة صارمة :« اعلم يازبالة بأن اســلوبك الذي كنت تصر عليه هو أسلوب غير ناجح عمليا ، فالرشوة لاحدود لها، وقد اتت النكبة من جيرانكم المتنفذين الاقوياء لامن اصرارنا على عدم دفع الرشوة وأنت تعلم ان الحملة هي ضدكم بالدرجة الاولى لاضدنا، واني أرى من لهجتك وأسلوبك الجديدين ، انك قد تغـيرت علينا دهل

ستنقلب مع غيرك فتكون فى صف اعدائنا ؟ لم يبق الا هذا حتى نعض بنان الندم على ما قدمنا لكم » .

فقال سليم «انى لاأستبعد عدم الوفاء من زبالة ورفاقه فهم يميلون مع القوى ، ولاأستبعد مطلقا ان يخدعه جيرانه فيقنعوه بالتخلى عنكم والوقوف بصفهم ، ولكنى انصحه بالتريث فانه لم ينتصر حتى الآن ، ولم يصبح له حق في الارض التى اشغلها ، ولازالت الحكومة تعتبره متجاوزا على هذه الارض ، وسوف تمنعه بتاتا من زرعها في السنة الآتية » .

وحاول زبالة عبثا أن ينفى تلك التهم بحجج واهية ، وحاول ان يثبت اخلاصه لرفاقه ، ولكنه كان بعد أن وعى كلمات سليم كالثعلب يحاول ان يتخلص من مصيدة أطبقت على ساقه .

- ٣٧ -

جلس الاصدقاء الاربعة حول مائدة العشاء الانيقة ، في دار الاستاذة سنية ، التى اصبحت دارها ودار ماجد معا ، وافتتحت سنية الحديث فقالت : «ان هذا هو العشاء الربانى الاخير بالنسبة الى مسيحنا ماجد ، الذي أتته الضربة الاخيرة من الفلاحين بعد ان بذل جهده لمساعدتهم» .

قال الدكتور حسام : « تالله ماكنت أعتقد ان هؤلاء الفلاحين قليلو الوفاء غدارون الى هذا الحد» .

فأجاب ماجد : «اعتقد ان لا حق لنا فى نعتهم بالغدر والخيانة ، وعلينا ان نكون واقعيين لنرى الامور كما هى دون ان نسبغ عليها من خيالنا ومثلنا الوانا باهتة لاتغطى جوهرها . ان الفلاح يخدم من يكفل له العمل والعيش ، فحين وجدوا اننا قدمنا لهم ارضا طيبة وماءا وفيرا وجالدنا وانتصرنا ، اعتقدوا بأننا أقوياء ولما شعروا بأننا سنغلب ، أو غلبنا فعلا ، حولوا وجودهم الى جهة أخرى تكفل لهم ماذكرت . وكم مرة سمعت عبارات الاسف تتدفق من أفواههم عند رؤيتى وحتى اولئك الذين هربوا بسلفنا ، لايبخلون علينا بالمديح يكيلونه لنا جزافا أينما حلوا ويفضلوننا على كل ملاك منطقتهم » .

فقالت هيفاء مبتسمة : « الاترون معى أن عنصرا جديدا قد دخل في آراء ماجد ومنطقته ؟ بل وفى طبيعته عند الاصطدام بالمشاكل ، فقد زاد هدوءا ، واتزانا ولعل لسنية أثرا فى ذلك» . فأجابها زوجها ضاحكا :

«كانت المصيبة واحدة فأصبحت مصيبتين ، فبعد ان كنا مبتلين بمـاجد وحده ، يبعثر ماتملك ذات اليمين وذات الشمال ، اتت الاستاذة سنية لتقنعنا بفشلنا بالبرهان ، ثم تطلب منا بكل هدوء أن نستمر فى العمل الفاشل ونتخلى عن كل ماتملك ونكون بالنتيجة مسرورين ، مكتفين بالفوائد المعنوية والارباح الاخلاقية . وليت الامر وقف عند هذا الحد فأن الدائنين أذا ماصفوا املاكنا فى هذا المشروع فسنخرج مدينين لهـم ومعنى هذا ان نبقى تحت سيطرتهم عبيدا نعمل لفك أســارهم . ومن المضحك ان ينظر لنا الناس نظرة تختلف عن الواقع ، ومن حقهـم الا يصدقوا اننا نشتغل بالزراعة ونخسر فى مثـــل هذا الوقت الذى يعتبر فردوس الملاك والمحتكر وتاجر الحبوب ، وهم الذين تتراقص قلوبهم طربا كلما قفزت الاسعار قفزاتها الجنونية» .

فقال ماجد :« لقد ساومني زبالة على بيع حصصنا فى هذا المشروع الى احد اعدائنا المجاورين الى فخرى آغا ودفع لى مبلغا يقارب ماصرفناه ولكنى اصررت على أن نخرج غير مدينين لاحد بشيء فضلا من أستعادة رأس المال ، والمساومة لازالت جارية . ولكن هؤلاء الملاك الملاعــين ينزلون بالقيمة الى الحضيض كلما شعروا بحراجـة مركزنا ، واذا ماأستطعنا ان نخدعهم بامكانية الاستمرار فى العمـــل فلاشـــك انهم يدفعون لنا ربحا وافرا» .

فقالت سنية :« يعجبنى وكيلكم سليم فهو مستميت فى سبيل انقاذ مشروعكم للعمل معكم ،وقد سمعت انه تشاجر مع قريبيه زبالة والشيخ حسين حتى وصل به الأمر الى تهديدهما بالسلاح» .

وقال الدكتور حسام وهو يتناول قطعة من الخبز : «انظروا كيف اغبر الخبز وأسمر . ان اسعار الحنطة قد تضاعفت مرتين ، وسعر الشعير يطفر طفرات عجيبة بعد أن صدر اغلبه . والشائع أن تجاره قد دفعوا رشوة ضخمة لمن أجاز هذا التصدير » . فقالت سنية : « نحن سعداء لو بقي الخبز اسمر كما نراه فأني اخشى أن يتحول اسود أو يختفي من السوق بتاتا ، ولاتستغرب أذا ماتضاعفت اسعار الحنطة والشعير خمس مرات أو أكثر فالفلاح قد أطمعه غلاء سعره ، فباع ماعنده منه ولم يبق حتى مايقتات به ، واني لانتظر نكبة مروعة عندما تخلو البلاد من هذين العنصرين الغذائيين» .

استيقظ ماجد صباح ذات يوم على صوت خادمتهم الصغيرة ،وهي تصخب وتشكو بصوتها الحاد :« وكيف أستطيع ان اصل الى شباك الفرن ياسيدتي وألوف الناس تقتتل للحصول على رغيف ؟» . فتجيبها سنية : «ولكن اليس هنالك محل آخر لبيع الخبز ؟» .

فتقول الخادمة : « اذا كنت تريدين خبزا خاصا ، فهو موجود عند محيلة الخبازة ، ولكنها تبيع الرغيف الصغير منه بأربعة عشر فلسا وهو سعر عال » . فترد عليها سنية :« لابأس يافتاة . اشتريه بأي سعر كان فان سيدك لابد أن يفطر قبل الخروج الى عمله» .

ترك ماجد فراشه وتنكب منشفته ووضع فرشة اسنانه في فمه وتقدم من زوجته مرحا فأحاط خصرها الرشيق باحدى ذراعيه واشغل الاخرى بتحريك فرشة الاسنان في فمه ورطن بقدر ماسمحت له فرشة أسنانه :« لاأستطيع تقبيلك أيتها الاستاذة على شدة أهتمامك ببطني الخاوي ، ولكن ارجو الا تتحقق نبوءتك اكثر من هذا فنهلك جوعا» . فأجابته :« لقد هلك عدد من سكان المناطق الشمالية فعلا وقد استلمت رسالة من أربيل ، من ابنة خالتي سعاد وهي زوجة مدير ناحية هناك كما تعلم ، تقترح على ان تشتري لي فتاة او فتى بمبلغ لايتجاوز العشرة دنانير» .

فبق ماجد مابفمه وقال :« يالله ! ابلغ الامر هذا الحد من الخطورة؟

اني أستغرب ألا يخرج هؤلاء عن طورهم ويأتوا أمرا ادًا ما داموا قد وصلوا الى درجة الهلاك ؟» .

فأجابته سنية :« لعلهم يعتقدون بأن مانزل بهم قدر محتوم ، أو بلاء قد صبه الله على رؤوسهم بسبب معاص توهموا انهم قد ارتكبوها . انهم يعللون الامور تعليلا يشفي قلب الملاك الكبار ومحتكري الحبوب وتجارها . وبهذه المناسبة انى انصحك الا تعلن عن توقعاتك بمثل الاسلوب فالجواسيس قد ملأوا الشوارع والمقاهى ، وحتى محلات الاعمال .وأخشى ان يدخلك جاسوس نصف أمى فى قائمة الشيوعيين والمحرضين على الهدم والتخريب» .

فقال ماجد ضاحكا :« بودى لو أرى واحدا من زعماء هؤلاء الشيوعيين . اذ يلوح لى أن منطقهم يختلف كثيرا عن منطق هؤلاء الفوضويين الذين يملأون كراسى الحكم ويحتلون الوظائف احتلال مستغل جائر» .

فقالت سنية مقهقهة : « أن الشيوعيين هم الذين يلقبون عادة بالفوضويين » . وسمع في الخارج هرج عظيم فاسرع ماجد وعاد بعد مدة ومعه الخادم الصغير وهو يقول : « لقد اغمى على امرأة مسكينة من شدة الازدحام على شباك الفرن فكادت تموت ، ويقول صاحب الفرن بأن ما عنده من الخبز لا يكفى نصف الموجودين » .

ثم تناول رغيفاً من الخبز الذى أتت به الخادم ، فلفه وأدخله فى فمه مرة واحدة وقال : « لقمة واحدة من الخبز باربعة عشر فلساً ، لقد

أصبح الخبز أعز من كل المواد الغذائية ، وليت الانسان يستطيع أن يستغنى عنه باللحم أو بغيره . اذ لو كان الامر كذلك لامكن ان نصبح وجبة الغذاء اقل كلفة » .

فقالت الخادم الصغيرة ضاحكة : « ان اللقمة تكلف سيدي عشرين فلساً اذا حسبنا الأدام ، ومعنى هذا أن عشرين لقمة وهي وجبة غذائه تكلف أربعمائة فلس » .

فعرك ماجد أذنها وقال : « أيتها الخبيثة ، هل تعلمت الحساب لتطبيقه برأسي ؟ انك اذا حسبت ما أكلف فى هذه الدار فربما كان دخلي كله لا يسد نفقات أكلي ، فتطردني سيدتك من دارها لأنى اغير على دخلها ، وفى هذه الحالة لا يبقى لى مناص من أكلك أنت » .

فقالت أمه وهى تنادى الخادمة من المطبخ لتحمل أطباق البيض المقلي : « لو اعترضت سنية على كثرة أكلك فسأطلب منها معاش خادمة وبهذا يحصل التعادل » .

فقهقهت سنية وقالت : « رحماك يا أماه ، فأنا لا أعرف حتى كيف أقلي بيضة ، ولو طلبت كل راتبي لدفعته لك راضية » .

امتلأ الشارع العام بجمهور المتظاهرين فسد الطريق على السابلة وقطع حركة المرور ، وتعالت الهتافات وكلها تطالب بانقاذ فلسطين من محنتها العظيمة ، وتشجب مشروع التقسيم ، واضطر الدكتور حسام الى الوقوف مع هيفاء منتظرين مرور المظاهرة التى ملأت ساحة بـــاب المعظم ، وكونت مايشبه العقد الهائلة تسد منافذ الطرق الاربعة •

قال حسام : « ماذا باستطاعة هؤلاء المساكين ان يفعلوا لانقـــاذ فلســطين ؟ » •

فقالت هيفاء : « ان الحكومة قد وعدتهم ببذل كل جهد للحيلولة دون تنفيذ هذا التقسيم الجائر واحباط مشاريع الصهيونية فيها » •

فقال حسام ساخراً : « الحكومة • أجل الحكومة • أو ليست هى الحكومة التى تغفل عن بعض أولئك الذين قد اصبحوا أداة حقيرة لكل من انتفخ بالمال ، فتقتل الزرع وتقفر الاراضى لقاءرشوة لاتتجاوز بضعة دريهمات • واذا كان هذا حال موظفيها عندما تقدم لهم بضعة دراهـــم فكيف تكون الأحوال لو لوّح الصهيونيون بالآلاف والملايين ، ولو لوح الأنكليز لبعض الأذناب بالمصالح الضخمة والفائدة الفاحشة ؟ » •

فقالت الدكتورة هيفاء : « لو لم يكن لماجد الا فضل اقحامنا فـــى السياسة بواسطة وضعنا أمام مشاكلنا الاجتماعية وجهاً لوجه لكفي بــه فضلاً • لقد أدركت الآن لماذا تلح الحكومة على موظفيها بعدم التدخل

فى السياسة ، وتضع أمام أعين التلاميذ حجاباً صفيقاً • ان ذلك يذكرني بحمار الطاحون الذى تربط عيناه وهو يدور سعيداً مغتبطاً غير مهتم بشيء أو متوقف لدى شيء » •

وقاطعها صوت من الخلف : « والمهم أن هذا الحمار هو من حملة الشهادات العليا أى ممن يحسبون فى الطبقة العليا ثقافة » • فالتفت الزوجان فوجدا ماجدا يبتسم لهما ساخرا ويقول :« انرئيس الوزارة يعد ببذل النفس والنفيس لانقاذ فلسطين ، ويذكرنى هذا الوعد بتصريح قد صرح به رئيس وزارة سابق ، لاعمار اراضى العراق الواسعة وفحواه توزيع الأراضى الزراعية على المثقفين وتكوين مزارع تعاونية • أى انه يعطينا نحن الأربعة لو أردنا ، قطعة أرض يسقيها الماء سيحاً دون جهد أو ثمن • ولو لم نكن نحن أبطال النهروان لقلنا ياله من رئيس جليل طيب القلب راغب فى خير الأمة وأعتقد جازماً بأن فلسطين ستنقذ أيضاً بنفس هذا الأسلوب » • ورأى الثلاثة فتاة تحمل على الأكتاف واشرأبت اعناق المتجمهرين متطلعة اليها ، وساد صمت عميق عكره ماجد بقوله :« ياألهى انها سنية ستخطب القوم» • والتهب وجهه بالدماء حماسا ولمعتعينا رفيقية وبدات الفتاة تخطب بصوت متزن رخيم ما لبث أن آخذ يعلو ويعلو كسمفونية بدأت هادئة رصينة ثم تصاخبت أنغامها كعاصفة هوجاء ، ولم يسمع الرفاق أول مقطوعة من خطابها ، وحاولوا عبثاً أن يدفعوا المتجمهرين ويشقوا لهم طريقاً ، ولكن صوت الخطيبة مالبث أن تعالى وهو يرن رنين الابواق او يصاصل صلصلة السيوف المتشابكة • والتقطت اذانهم كلماتها اخيرا واضحة جلية :

« أجل ، كلنا نعلم أن وطننا الصغير في محنة ووطننا الكبير في خطر وأن الدول العظمى لا يهمها من أمرنا الا بقدر ما تستفيد منا ، فهي تمديدها لتأخذ لا لتعطي ، فان ضربت على يدها أعطت عندما تريد أن تأخذ ، ولكن من هو الذى سيضرب على هذه اليد يا ترى ؟ فى أغلب البلاد العربية بل وفى أغلب بلاد العالم اليوم حكومات وشعوب . أما الحكومات فقد تحكمت رغم أنف الشعوب فانصرف همها الى خنق صوت الشعوب لكى تطمئن الى خموده نهائياً وعدم رفع عقيرته للمطالبة بحقوقه ، وطلبت المعونة على تقوية مركزها فوجدت المحتكر والمرابى والاقطاعى الجشع المستغل فى صفها ، ووجدت الحكومات الأجنبية ذات المطامع فمدت يدها لمصافحتها . أو تصدقون أن من يسكر ليلا مع محتكرى الاقوات ومجوعى الشعب ويعينه على تعديه غير المشروع يهمه انقاذ فلسطين وغير فلسطين ، ومن لا يرحم ذويه الأقربين وأهل عشيرته وأبناء بلده الأدنين ، أيهمه ان يعتنى بالأبعدين ؟ من وزر هذه الوزارات فى أغلب ارجاء العالم ، ومن اختار هؤلاء النواب والحكومات ، ومن سن هذه القوانين ، ومن شرع شرائع خنق الحريات ؟ ولكن هذه الدول تسمى رغم كل ذلك دولا دمقراطية لا تصدر شيئاً بدون رضى الشعب ، فيالها من كذبة كبرى ويالهم من كذابين ! اذن فاحذروا الخداع والكذب . احذروا النفاق المكشوف ، ان من يستطيع أن يكذب كل هذه الأكاذيب لا يصعب عليه أن يعدكم بانقاذ فلسطين وهو في الحقيقة متآمر مع الصهيونية في الداخل ومع الاجنبى ذى المصلحة فى الخارج ، والويل لمن يعترف بالواقع ويشير الى الحقيقة ولو اشارة صغيرة » .

وقوطعت الخطبة بهتافات شقت عنان السماء ، ثم ماج الجمهور واضطرب واخترقت جموعه خيالة الشرطة شاهرة عصيها وتفرق الجمهور ، بين صرخات الاستياء ، ووثب ماجد ورفيقاه نحو سنية فأدركاها أخيراً وجراها جراً من وسط المظاهرة .

- ٤٠ -

دعى الدكتور حسام وزوجته ماجداً وسنية الى العشاء فى دارهما ، وذلك بمناسبة فشلهم فشلاً تاماً فى مشروعهم الزراعي . فقد أنباء ماجد بأن المصيبة قد نزلت أخيراً بالشركاء ، وأنهم على أبواب الافلاس فقد افتتح مشروعه بدعوة على شراب فيجب ان يختتمه بشراب أيضاً . والفرق بين نوعى المشروب سيكون كالفرق بين وضعينا قبل أن يرمينا فى هذه التهلكة وبعدها ، والغبن علينا جميعاً . وقدمت سنية قبل زوجها ووجدت المائدة معدة ورأت قنينة الشراب في غرفة الاستقبال فضحكت وقالت لحسام : « تلك تعزية لطيفة ، ولكنى أخاف أن يرجع الى الادمان بعد ان ترك الشرب طيلة اشتغاله بالزراعة تقريباً » .

وسألتها هيفاء : « ولكن أين هو الآن ؟ » . فاجابت سنية « لقد ذهب للمساومة على بيع المشروع وهو لا يحلم الآن الا ببيع هذا المشروع - ويود لو يضحي بحصته فى سبيل ارجاع دراهمكم ودراهمي ، ولم أستطع اقناعه بأننا شركاء فى الغرم والغنم وأن لا ذنب له فى الامر » .

وسمع الرفاق صوت ماجد الجهوري وهو يتحدث مع الخادم ممازحاً ثم دخل غرفة الاستقبال ورمى بحقيبته على أحد المقاعد وأسرع الى زجاجة العرق فرفعها وهو يبتسم ابتسامة حزن ويقول : « انها فكرة الدكتور ويا له من ختام » .

وأسرع فملأ كأساً مزجه بالماء ثم التفت الى زوجته وأصدقائه قائلا : « وهل أكون أنا الوحيد بينكم الذى يحتاج الى عزاء ؟ » .

فقالت زوجته : « انى لم أعتد شربها ، ولكن لك أن اشاركك فى رسميات الحفل » . فقالت الدكتورة وهى تتجه الى المائدة : « هذا واجبي أنا » .

وملأت بعض الكؤوس بمقادير مختلفة وانرعت كأس حسام وهو ينظر اليها ضاحكاً . ثم وقفوا معا فقال حسام : « اننا نشرب نخب فشلنا المريع وافلاسنا المخيف ونخب صحة تنبؤات سنية » .

والتفت ماجد الى زوجته وهو يقول « ترى هل تنبأت لنفسك ، وأنت تلقين ذلك الخطاب الملتهب فى المظاهرة ، عن نتائج عملك ؟ أم انت تتنبأين للغير فقط ؟ » .

فقالت سنية : « لقد أخبرتك في حينه بأن حراس الدواوين فى وزارة المعارف سيدقون طبل الحرب ، وينفخون فى صور الخطر ، وقد فعلوا . لقد انذروني اليوم بالفصل » .

فقال ماجد : « المصيبة هى أني اخجل أن اكون أنا مدافعاً عنها لأني لا أعتقد فى نفسى الكفاءة فى الدفاع عن أمثالها » . فسألت هيفاء : « وهل تعتقدين انهم سينفذون ما هددوا به ؟ » .

فاجابت سنية ساخرة : « سيخففون من غلوائهم رغم أنوفهم بعد قليل . لقد جاع الناس الى حد لا يحتمل وبدأت همهمة التذمر ، والناس هنا لا تهمهم السياسة فى الأوقات الاعتيادية أما حينما تكون

حياتهم مهددة بالخطر جوعاً ، فان أعصابهم تكون مشدودة كالأوتار ، معدة لاطلاق انغام طيبه اذا عزف عليها عازف ماهر » .

فقال حسام : « وقد عزفت أنت يوم خطبت فيهم عزف أستاذ محنك حتى ان أعصابنا أيضا استجابت لعزفك رغم أنها غير مشدودة ولا متوترة . ولكن أتظنين أن الامر خطير الى هذا الحد ؟ » .

فقالت سنية : « أما أنه خطير فنعم ، ولكن خطورته موقتة لأن الباعث على تذمر النـاس غير عميق الجذور . ولكن العاصفة رغم قصرها ستزعزع كيان بعض أرباب النفوذ وتقلل من هوس المتنمرين وراء مناصبهم فى الدوائر الرسمية ، فلا يستطيعون أن يوجهوا لوماً ، أو تعنيفاً لا مبالى » . فقالت هيفاء : « يميناً اني لأكاد احس بوقوع كل ما تقولين . فقد عددتنا صحة التنبؤ » .

وقال ماجد « بودي لو يحدث شيء من الشغب ، فاني جد راغب فى ان أضرب أحداً أو اقتل احدا بعد ان تأكدت ان كل ما عند الدولة من قوانين لا يحميني ، حتى أنا ، ضد المعتدين . أنظروا الى حقيبتي هذه المملوءة بالحجوز فقد حجز علينا الدائنون والبياع وتاجر الشعير والحكومة أيضاً ، والأنكى من ذلك أنهم ساقوني الى محكمة الجـزاء مطالبين بما يسمونه حنطة الحكومة أو حصة التموين وهم يعلمون مصير الحنطة التى قتلوها بأنفسهم . لقد فرضوا علينا مقداراً دون سؤال أو جواب أو استشارة أو اعتراض ، وقد تستغربون لو قلت لكم انهـم فرضوا علينا وعلى فخري اغا مقداراً متساوياً » .

فقال حسام : « ما أشبهنا بديك هزيل قد احاط به عدد كبير من الثعالب . ترى من هو الذى سيشبع من هؤلاء الثعالب ؟ » .

فقالت سنية : « قد تنشب معركة بين الثعالب فيهرب الديك » .

فنظرت هيفاء متطلعة وقالت : « أثمة امل ؟ » .

فقلبت سنية كفيها يأساً وقالت : « من يدري ؟ » .

تاجج غضب سليم الفريحة وهو ينظر الى زبالة مرتجفاً ، ويكيل له المثالب والسباب وتدخل ماجد بينهما واستطاع بعد جهد أن يخمد من هياج سليم ، وسكت بعد أن ذهب زبالة الى حال سبيله وهو يرغي ويزبد .

قال سليم : « تالله انها لنذالة مفرطة أن يعاملك هؤلاء الكلاب مثل هذه المعاملة بعد أن ضحيت براحتك في سبيل مساعدتهم ، وما كان يخطر لى على بال أن يتآمروا فى النهاية عليك ،ويتفقوا مع اعدائك على اخراجك من المشروع صفر اليدين » . فأجاب ماجد : « لاتظنها مؤامرة علي فأنا الذى طلبت من زبالة ان يتفاوض مع هؤلاء الجيران على شراء حصصنا من المشروع » . فقل سليم :« ولكنك اعتمدت على أناس لاضمير لهم لقد أطمعوا زبالة بتسديد ديونه أذا اقنعك بالخروج من المشروع باسقاط الديون التي عليك وعلى جماعتك بينما هم مستعدون ان يدفعوا ماصرفتموه على الاقل ويقبلوا كل الديون التى فى ذمتكم» .

كان ماجد يسير مع سليم قرب مديرية الشرطة العامة وهو مستغرب من شدة اخلاص سليم وتألمه ، وحاول عبثا ان يخفف من غله على اقربائه الذين لايرعون حرمة لصديق ولاوفاء لاحسان . وكان ماجد غير منتبه الى تلك الحركة غير الاعتيادية التى سادت الشارع . ولكن

سليم نبهه اليها بقوله :« لقد قامت مظاهرة هائلة صاخبة اليوم زيادة على مظاهرة البارحة • لقد مشيت مع المتظاهرين حتى وصلوا المجلس النيابي واظنهم مازالو هنالك» •

وانتبه ماجد الى عدد من السيارات تحمل افراد الشرطة وهم مدججون بالسلاح •• وهمس سليم :« اخشى ان يطلق الشرطة الرصاص على المتظاهرين اليوم » • فقال ماجد : «لقد هدد وزير الداخلية البارحة بتفريق المظاهرات بالقوة ولكني لا أعتقد انه يجرؤا على ضرب الناس بالرصاص» •

فقال سليم :« اذا كان الناس لايريدون المعاهدة فلماذا لايثورون على الحكومة؟ ان ابناء العشاير مستعدون للثورة » •فقال ماجد ضاحكا : «أرى ان حماس الطلاب قد اعداك انت ايضا فهل كل الفلاحين على شاكلتك ؟ » •

فقال سليم: «انهم كلهم يضمرون لك حبا رغم ان قسما منهم قد اساء اليكم يهربهم بالديون ، ولكنهم مستعدون للرجوع الى مزرعتك عند أول اشارة ، ولو طلبت الآن اى عمل منهم لوجدتهم طوع اشارتك •لقد سمع بعضهم بالاضطرابات فى بغداد فقال بعضهم لبعض :« لو حدثت ثورة فسنطلب من ماجد ان يقودنا وسنستولى على هذه المنطقة كلها وننسف الجسر الذى يصلنا ببغداد ونفعل الافاعيل» •

فقال ماجد مقهقها :« لقد حطمنا الفشل في هذا المشروع ياسليم ولو ربحنا شيئا منه لشيدنا لكم مدرسة ومستوصفا ،وأرجو ان تطرد

من أفكار اصحابك ميلهم الى الثورة والتهديم : فلو قطعتم الجسر كما تقولون فهلا خبرتنى كيف تنقلون حاصلاتكم الى بغداد ؟» . ويظهر ان سليم اقتنع بهذا المنطق البسيط فقال : «لقد اساءت الحكومة الينا اساءة
سليء اقتنع بهذا المنطق البسيط فقال : « لقد اساءت الحكومة الينا اساءة لاتغفر ولعل الله ينزل بها اشد عقابه لتجاوزها غير المشروع علينا وتدميرها لاعمالنا » . ثم تنهد وأضاف : « أليس من الغريب أن نخسر ونفلس ونحن مزارعون ؟ فى حين أصبحت وزنة الحنطة بخمسة عشر دينارا ؟ انها من الفرص النادرة فى حياة المزارع والفلاح ، ففى مثل هذا الوقت يسترد الفلاح كل خسائره ويربح الملاك الالوف ، حتى ان الربح ليذهب بعقل بعضهم فيركب رأسه» .

فأجابه ماجد ضاحكا :« ربما كان ذلك لاننا انفسنا لانستحق أن نكون مزارعين أو ليست لنا القابلية على ذلك » . فانطلقت اللعنات الصاخبة من فم سليم وقال :« وهل هؤلاء المثرون والمحتكرون الذين يسرقون الفلاح والحكومة علنا هم الذين تليق بهم الثروة ؟» كم أود لو تحدث ثورة فعلية لاشفى غليلى كما أشاء» .

- ٤٢ -

اسرع ماجد ووراءه سليم نحو مصدر التجمع تحدوهما اصوات الهتافات العالية الصاخبة التي كانت تصل اليهم واضحة ، وكان مركز التجمهر ، كما بان من حركة المرور واتجاه افراد الشرطة ، هو طريق المجلس النيابي • وما كادا يصلان الى الســـاحة امام المجلس حتى رأيا الازدحام قد سد هذا الشارع والشوارع الاخرى المؤدية اليه ،وتعالت الهتافات مرة أخرى مدوية كصوت الرعد :« يســـقط صالح جبر ، تسقط معاهدة جبر بيفن ، يسقط الاستعمار والصهيونية »•واندفع ماجد بين الجماهير ليتسنى له سماع الخطب عن كثب •• ووصل بعد جهد عظيم الى مدخل الساحة ، وكان أحد الخطباء قد انتهى ونزل بـين دوى الهتافات ،واعتلى شاب صغير السن رث الثياب سقف سيارة فارهة من سيارات النواب • فقال ماجد لرفيقـه :«ياله من منبـــر غريب؟» فأجاب سليم مستغربا : « أنظر اليه كيف يهتز ويرتجف • انظر الى ملابسه الخلقة • أهو موظف؟» •

فأجاب ماجد : «يدل لباسه على أنه موظف صغير او على الاصح مستخدم في أمانة العاصمة » • وبدأ الخطيب يكيل التهم والشتائـــم المقذعة للنواب بصوته الضعيف المرتجف ، فسماهم اعضاء المجلـــس المزيف ، مجلس الجواسيس وأعوان نورى السعيد•فتعجب ماجد وقال:

«ان هذا اليوم له مابعده ، اذ لم يحدث ان شتمت الهيئات الحكوميـة وذوو السلطة والنفوذ بمثل هذه الجرأة »•

فقال سليم « ما أحسن هذا ، أنه يرفه عن المنـــا المكبوت جميعـا فكلنا نريد ان نشفى غليلنا بمثل هذه الشتائم ان استطعنا»•وقوطع كلامه بصوت الجماهير تردد التهم والشتائم المقذعة تقذفها في واجهة المجلس وفى أوجه النواب الذين ملأوا الشرفة • وتسلل النـــواب الواحـــد تلو الآخر الى داخل المجلس مشيعين بالسباب البذيء •

وتهاوى الخطيب الصعلوك بعد أن أختنق صوته ، وكانت آخـر عباراته : « ايها اللصوص يا مجوعى الشعب وسارقى خبز الجماهير ،انكم لم تكتفوا باحتكار أقواتنا بل قررتم بيعنا للاجنبى كما تباع السائمة » • وقال سليم لماجد :«يالمسكين ! أنا متأكد بانه لم يفطر ، انظر الى وجهه المصفر الشاحب »• فقال احد الحاضرين :« ان نصف الموجودين في المظاهرة لم يفطروا ، وأغلبهم لا يأكل في اليوم الا مرة واحـــدة • انهم يتكلمون بصوت بطونهم ولولا الجوع لامضيت مئات المعاهدات أمثال هذه دون أن يلتفت اليها أحد » وتحركت تلك المظاهرة لتخلى المكـان لاخرى وعرف ماجد من شعارات المظاهرة القادمة انها مظاهرة عمال ، وكانت الطبول تسير أمام المظاهرة وهى تدق دقات موزونة تماثل تلك التى تدق في يوم عاشوراء • فتوثب سليم متحمسا وقال متحسرا : « لماذا لم تنبئني ياماجد بيك قبل حدوث هذه المظاهرات ؟ لو علمت لاتيت بكل الفلاحين فى ناحيتنا ونظمنا مظاهرة تشبه هذه شعارها المساحى والمناجل

ولشفينا قلوبنا ايضا بسب مدير الناحية والشرطة ، ولشرحنا المصائب التى تصب على رؤوسنا من قبل الحكومة والملاكين المتخمين». واعتلى أكتاف الجماهير مارد أسود من العمال وانطلق يلقى قصيدة شعبية بلغة الجماهير ، بليغة رائعة ملكت على ماجد حواسه وجعلت عينى سليم تذرفان الدمع حماسا وتهيجا ،وانطلق يستعيد ابياتها بصوته القوى.

كان فى الشرفة المطلة على الساحة نائب شاعر بقي وحيدا بعد أن هرب رفاقه النواب ، وكان يصغى الى شاعر العامة كانه قد شد به وبالمتظاهرين بحبال خفية . وبدا عليه وهو يصغى الى قصيدة ذلك العامل سرور وارتياح عظيمان ، فكأن بينه وبين ذلك العامل صلة روحية وروابط متينة أزلية .

لعلعت طلقتان متتاليتان من مكان غير بعيد عن المجلس واعقبتها بعد لحظة خمس طلقات ودل بعد الصوت على انها أطلقت من محل غير المحل الاول • وهدأ جمهور المتظاهرين وسكن سكونا غريبا يشبه الفترة بين تألق البرق وصوت الرعد ، ودام ذلك السكون لحظات ثم انفجر الجمهور مرة واحدة كما تنفجر الصاعقة ، مناديا بالدفاع حتى الموت وبسقوط الارهاب • وشعر ماجد برجفة تشبه تلك التي تحدث من لمس سلك كهربائي وأحس بيد رفيقه سليم ترتجف وهي تضغط على ساعده ، فأدرك انهما يشعران بما يشعر به جميع المتجمهرين ، وان ذلك التيار قد سرى في أجسام كل الناس فكأنه تيار كهربائي أنطلق بطلقات البنادق • وكأن زناد تلك البنادق زر ذلك التيار •

ورأى ماجد صاحبه سليم يشهر مسدسه فيطلق طلقة في الهواء ويرتجل على الفور مقطعا يرتجزه هازجا وهو يهتز واجابته الجماهير تردد ذلك المقطع ، وقد تفجرت حماسا واندفعت نحو مصدر النار ، نحو شارع الرشيد •• وصلوا الشوارع كتلة واحدة فرأوه كالنهر يجري بشرا وتتلاطم فيه أمواج المتظاهرين تلاطما شديدا وتتجاوب الاهازيج تجاوبا يلهب الدماء •

وتعددت اطلاقات النار فكانت كالزيت يلقى فوق حطب مشتعل وابصر سليم عددا عديدا من الفتيات واوجههن قد التهبت احمرارا كأنها مغسولة بالدماء ، ورأى عن بعد زوجته وقد شاب أسرارها الجميل حمرة خفيفة ، فشعر بالرعدة تمشى فى مفاصله وكانت الجماهير المتراصة تحول بينها وبينه •

واقترب صوت اطلاق النار وانشق الجمهور الى نصفين كما تشق المياه بقارب بخارى سريع ، وابصر المتجمهرون سيارة مصفحة فوقها عدد من رجال الشرطة ، وكان رشاشها يدور كالثعبان فى كل الجهات فيرسل نفثات من حممه فوق رؤوس الجماهير وكانت خيالة الشرطه تحتل الطريق التى اقتحمتها السيارة فأفتتحت فيها مسلكا •

واقتربت السيارة من الفتيات واطلق ماجد صرخة رعب عندما رأى سنية ورفيقاتها يسددن الطريق عليها بأجسادهن ووراءهن كتلة هائلة من الرجال ، وتخاذلت سرعة السيارة وسكن فوقها الثعبان النافث وتهاوى الطابوق فوق رؤوس الخيالة من فوق سطوح المنازل كالمطر فكأن جدران تلك السطوح ارادت الاشتراك فى القتال فأنتزعت نفسها وانتثرت فوق رؤوس الشرطة ، واقتحم الشرطة الخيالة الطرق الفرعية الضيقة ونجوا بأنفسهم هربا وانهالت الحجارة فوق السيارة المصفحة وتقافز افراد الشرطة من فوقها واختفوا وراء رفاقهم وكان اعجب مافى الأمر أن الجماهير لم تعرض لشرطى هارب بأذى فكأن خصمهم قوة معنوية لايمثلها الشرطة • واصابت حجارة رأس الشرطى

الجالس وراء رشاشة فنكس رأس رشاشه غير عامد ، وارسل صلية ثم هرب ، ورأى ماجد وهو يدفع نفسه بقوة خارقة وسط الجمهـــور ليصل الى السيارة ان سنية تحمل احدى رفيقاتها وقد سبحت بالدماء •
ورأت علامات الفزع على وجهه فقالت تطمنه :«لست انا المصـــابة بل رفيقتي لمياء ، فهيأ اعنى على اسعافها» •

فرفع ماجد الجريحة بين ذراعيه القويتين وابتعد عن السيارة التى اشتعلت فيها النيران •

وسمع وهو يبتعد صوت سليم وهو يرقص حول السيارة المشتعلة ويطلق من حنجرته القوية اهازيجه الملتهبة •

- ٤٤ -

اقتربت سيارة أسعاف وهى تشق صفوف الجماهير ، ووقفت بجانب ماجد ، واطل منها الدكتور حسام مرتاعا فقال له ماجد دون ان يترك له فرصة للسؤال : « اعتن بهذه الجريحة فقد نزف من دمها كثير » • وقالت سنية بعد أن برزت من الازدحام فشاع الاطمئنان فى وجه حسام عند رؤيتها : « سأذهب معها الى المستشفي » •

فقال الدكتور لسنية : « سأرسلك معها لتوصى هيفاء بها وتعاونيها على العناية بها ، فالجرحى كثيرون وهنالك عدد من القتلى أما انا فسأستقل سيارة أخرى لالتقاط الجرحى وخير لك ياماجد ان تساعدنى » •

واستقل الاثنان سيارة اسعاف ثانية مضت تشق صفوف الجماهير ومضى حسام يحدث صاحبه : « لقد حدثت مجزرة اخرى امام المستشفى فقد حوصر طلاب كلية الطب ومنعوا من الخروج للاشتراك فى المظاهرة وضرب نطاق من الشرطة المسلحة حول بناية الكلية • وقد اراد التلاميذ ان يفكوا عنهم نطاق الحصار بالقوة فقوبلوا بوابل من الرصاص • لقد تحمس الناس خارج المدرسة انتصارا لكلية الطب • وهم صبى لايتجاوز سنه الخامسة عشرة أن يتناول حجارة من الارض ففل رأسه شرطى بطلقة وقفز دماغه كتلة واحدة على الارض فرفع الدماغ المفلول وطيف به فى ردهات المستشفى فأضرب الاطباء عن العمل وقدم عميد

كلية الطب أحتجاجا صارخا عالميا : « ارى أن الاحداث تتوالى بسرعة هائلة مخيفة واخشى ان تغرق البلاد بالدماء » .

فقال ماجد « لاخوف من ذلك فمجــرد سقوط الوزارة سيعيد الاحوال الى مجاريها الطبيعية ، ولاضير على رجال الحكـم أن يعلنوا الغاء المعاهدة المزمع عقدها ريثما تهدأ الاحوال » .

واقتربت سيارة الاسعاف من منطقة خطرة قرب ساحة الملك فيصل الثانى . كانت الساحة خالية ، والرصاص يلعلع بين حين وآخر وقطع الطابوق تتطاير في الفضاء ، واقتربت السيارة ونظر السائق فى وجـه الدكتور متسائلا . فقال الدكتور : « تقدم فمهمتنا تقتضى أن نسـرع بأسعاف المجروحين قبل فوات الفرصة ، ولا اعتقد آن الشرطة تجرؤ على رمينا » . وقطعت عليه الكلام رصاصة اخترقت سقف السـيارة ، فتهيج ماجد وقال : « ان هؤلاء لا يرعون حرمة للهلال الأحمر فهـل يفعلون ذلك جهلا أم تعمداً ؟ » .

وأمر الدكتور سائق السيارة التوقف قائلا : « هنا جـريح » .

ونزل الدكتور يتبعه ماجد وأحد الممرضين ، واقتربوا من الجريح المطروح على الرصيف والدم يتدفق منه بغزارة ، وكان وجه الجريح الى الجانب المقابل ، وما كاد الممرض يقلبه على ظهره حتي قفز الدكتور وماجد كالملسوعين . كان سليم يبدو كالميت تماماً ، واسرع الدكتـــور فجس موضع القلب وقال : « انه حي ، فهيا ، أسرع » . ونقل سليم الى السيارة محمولا على أكف اصدقائه ، ومضى الدكتور يعمل بسرعة

فى جس الجرح واسعاف الجريح بينما كانت السيارة تنهب الأرض نهباً فى طريقها الى المستشفى .

وقال ماجد وعيناه مغرورقتان بالدموع : « ان خسارة هذا الصديق الوفي المسكين لا تعوض » .

فقال الدكتور وهو منهمك بعمله : « انه لم يمت رغم فقدانه كمية كبيرة من الدماء ، وقد أغمى عليه بسبب كثرة النزيف كما يظهر ، فهنالك أمل كبير بانقاذه » .

- ٤٥ -

كانت قاعة المستشفى ، وهي تلك القاعة التى رأى سليم أصدقاءه فيها لأول مرة ، غاصة بالجرحى ، وكانت الحركة فيها قائمة على قدم وساق فكأن القاعة مستشفى من مستشفيات الحرب .

وفى ركن من تلك القاعة معزول بستار من الخشب ، اجتمع الرفاق الأربعة حول سرير سليم . كان ماجد متمدداً على سرير طبى وقد شمر عن ذراعه وارتدى البياض وبينه وبين ذراع سليم جهاز ذو شرايين يقوم بنقل الدم من جسمه الى جسم الجريح ، وكان الدكتور والدكتورة منهمكين فى العمل . أما سنية فكانت تتكلم مع ماجد بهدوء ووجهها شاحب ، ولما انتهت عملية نقل الدم التفتت هيفاء الى ماجد فقالت : « عليك بالراحة فقد أعطيت من دمائك مقداراً يجب أن تعوضه» . ومضى الدكتور يجس سليم بادواته ، ثم التفت الى ماجد القلق وقال : « لقد تحسنت حالته كثيرا بفضل دمائك . ان دماءك مطابقة لدمائه بالخواص وكأنها جزء منها ، فما اغرب ان يكون دم الفلاح شبيهاً بدم ابن الباشوات والبيكات » .

وسمع الرفاق تمتمة تخرج ضعيفة من بين شفتي الجريح ، فقال الدكتور : « اظنه يهذي » وأصغى الرفاق وظهرت تمتمة سليم واضحة آخر الأمر فاذا هو يقول : « ذودوا هؤلاء الشرطة عن الزرع أيها

الفلاحون فانهم يريدون قتله . انظروا ، انهم يوجهون قواهم الى قتل الزرع المسكين . انهم يحصدونه بالبنادق والرشاشات . ذودوهم بخناجركم يا اخواني ، ذودوا الموت عن السنابل التي هي فلذات أكبادكم » . وتجمعت قطرات من العرق فوق جبينه الأسمر وابتسمت سنية ابتسامة كئيبة وقالت : « انه يخلط في بحرانه بين قتل الزرع وقتل المتظاهرين ، فيالها من مقارنة حكيمة غريبة ، الحقيقة ان المجزرة قد بدأت من يوم سلكت السلطة ومن ورائها المستغلون سلوكا سبب اختفاء الغلة من السوق وظهور المجاعة » . فقالت هيفاء : « هلا اخبرتني بنتيجة هذه المجزرة ؟ وهل ستلبى الحكومة نداء الناس ؟ » . فأجابت سنية : « اذا تكلمت جروح الشهداء خرس الأحياء ، وأطاعوا اطاعة مطلقة مطاليب الدماء المتدفقة . وستبقى هذه الجروح تطلب المزيد من الدماء ، وسوف يرهب الشعب حتى يدفن الشهداء وينسى الناس امرهم » .

فقال ماجد : « ان الشعب ضعيف الذاكرة سريع النسيان والويل للشهداء ولمن صاح بأصواتهم من قوى الاستعمار المطعون ، والمستغلين المهانين ، يوم ينسى الشعب من مات في سبيله » .

فقالت سنية متجهمة : « أجل سيلغون بالدماء من جديد وربما سفكوا كثيرا منها بأيدي غيرهم لا بأيديهم هذه المرة ، ولكنهم لو سكروا برائحة الدماء انذاك فسوف لا ينتبهون من سكرتهم حتى تختلط دماؤهم بدماء ضحاياهم » .

وفتح سليم في تلك اللحظة عينيه فنظرت اليه هيفاء بلهفة وسألته بلطف عن حاله فنظر في وجهها ببلاهة وكأنه لا يعرفها .

فقال الدكتور : « أخشى أن يكون قد اصيب بصدمة فى دماغه . لقد سلكت الرصاصة التى أصابته عن قرب ، طريقاً غريباً في جسمه فدارت دورة كبيرة ثم نفذت قرب الجمجمة بعد أن رضت العظم رضاً بسيطاً » .

وتقدم منه ماجد وقال : « كيف جرحت يا سليم ؟ » .

فتمتم : «بخنجر ابن فطيمة يابيك . كنا نقتتل على الارض . لقد حاول ان يضرب اختي » .

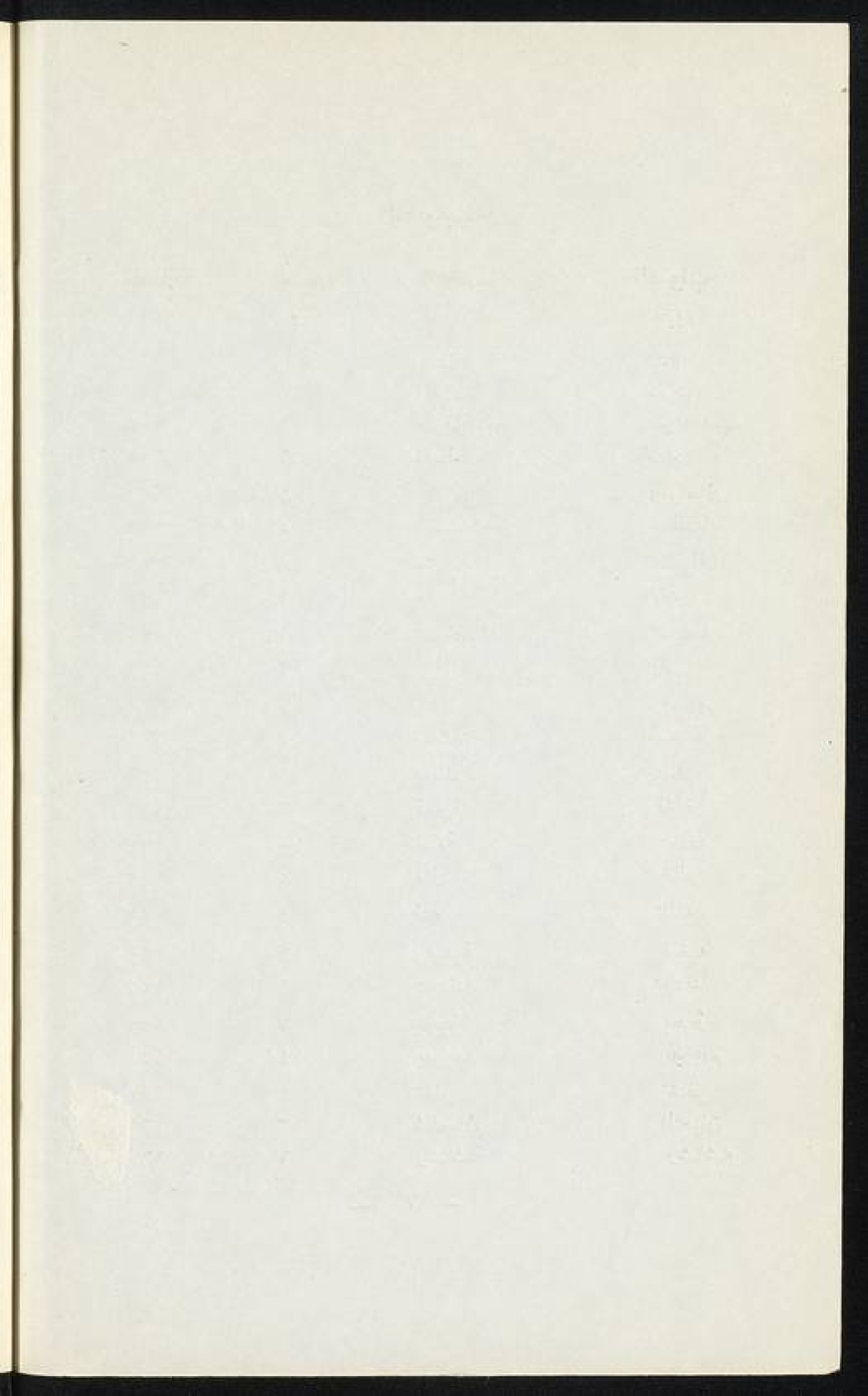
وتبادل الاصدقاء النظرات ، وقال الدكتور حسام : « قد يسبب الاجهاد ضعفا فى الذاكرة بعض الأحيان لمدة وجيزة ، وأرجو أن تكون حالة صاحبنا من هذه الحالات » .

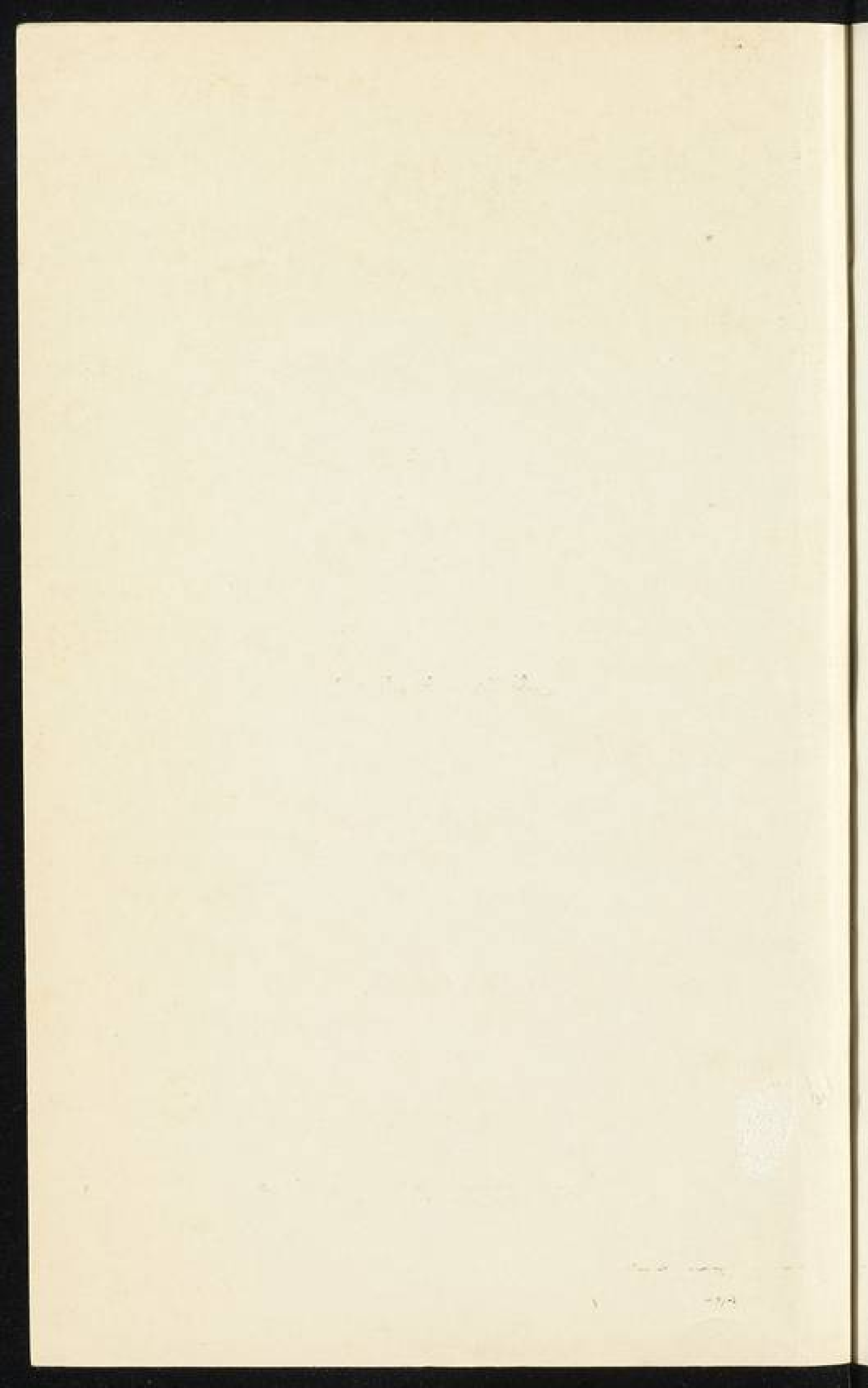
فقالت هيفاء وهى تبتسم : « لعله بحاجة الى دماء أكثر منا اخذ ليستعيد نشاطه وذاكرته وليستطيع أن يفرق بين اعدائه واصدقائه » .

انتهى

التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٨	١٠	الحوانً	الحيوان
٩٩	٦	عظيٍم	عظيم
٩٩	١٠	الفرد	القرد
١٠٥	٥	صرفاهما	صرفا همهما
١٠٥	٩	نفـذ	نفـد
١٠٦	١٢	واوامر	واوامرك
١٠٦	١٥	خطيبنك	خطيبتك
١٠٦	١٨	مقبوله	مقبولة
١٠٧	٩	ففد	فقد
١٢٠	١	تصحبـا	تصبحا
١٣٠	١٢	انى	أتى
١٣٢	١٧	بنتهى	بمنتهى
١٣٣	١٥	تستنتج	نستنتج
١٣٦	١١	ينطلم	يتظلم
١٣٩	٣	قسرة	فترة
١٣٩	١٠	صفة	صفه
١٤٢	٥	فال	قال
١٤٢	٥	لله	تالله
١٤٩	١٦	رفيقية	رفيقيه
١٥٤	١١	عددتنا	عودتنا
١٥٧	٧	يجرؤا	يجرؤ
١٥٤	١٤	يهربهم	يهربهم
١٥٨	٤	تغفر	تغتفر
١٦٣	١٣	الثعيانً	الثعبان
١٦٤	١	رشاشة	رشاشه





ثمن النسخة ٢٠٠ فلس

صورة الغلاف للفنان اسماعيل الشيخلي

مطبعة شفيق ـ بغداد
١٩٧٠

